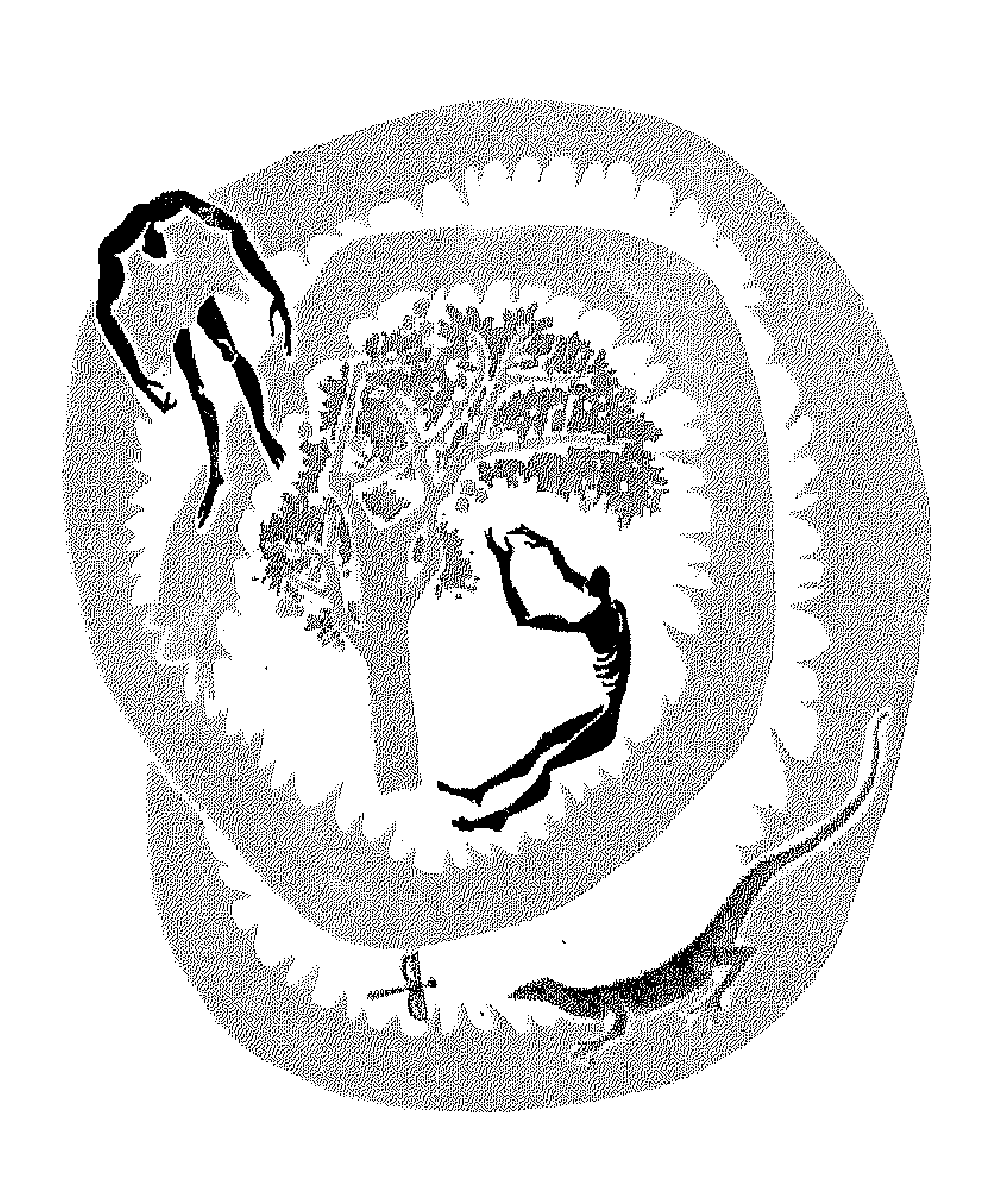
مصطفى محمود

حوار مع صديقي الملحد



حوار
مع صديقي الملحد

مصطفى محمود

الطبعــة الاولى

اكتــوبر ١٩٧٤

الغلاف

للفنان هبــة عنايت

بسم الله الرحمن الرحيم

● لم يلد ولم يولد

صديقي رجل يحب الجدل ويهوى الكلام وهــو يعتقد أننا نحن المؤمنون الســذج نقتات بالاوهام ونضحك على أنفســنا بالجنة والحور العين وتفوتنا لذات الدنيا ومفاتنها ٠٠ وصديقي بهذه المناسبة تخرج من فرنسا وحصل على دكتوراه وعاش مع الهيبيز وأصبح ينكر كل شيء ٠

قال لى ساخرا :

ـ أنتم تقولون : ان الله موجود ، وعمدة براهينكم هو قانون « السببية » الذى ينص على أن لكل صنعة صانعا ولكل خلق خالقا ولكل وجود موجدا ٠٠ النسيج يدل على النساج والرسم على الرســام والنقش على النقاش والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الاله القدير الذى خلقه ٠

صــدقنا وآمنا بهذا الخالق ٠٠ ألا يحق لنـا بنفس المنطق أن نسأل ٠٠ ومن خلق الخالق ٠٠ من خلق الله الذى تحدثوننا عنه ٠٠ ألا تقودنا نفس استدلالاتكم الى هذا ٠٠ وتبعا لنفس قانون السببية ٠٠ ما رأيكم فى هذا المطب دام فضلكم ؟٠

ونحن نقول له : سؤالك فاســد ٠٠ ولا مطب ولا حاجـة فأنت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه ؟! فتجعل مـه

خالقا ومخلوقا في نفس الجملة وهذا تناقض .

والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته .. فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان .

والله الذى خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان ولا بقوانين الزمان والمكان .

والله هو الذى خلق قانون السببية فلا يجوز أن نتصوره خاضعا لقانون السببية الذى خلقه .

وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التى تتحرك بزمبلك وتتصور أن الانسان الذى صنعها لابد هو الآخر يتحرك بزمبلك .. فاذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه .. قالت : مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه .. انى أرى فى عالمى كل شيء يتحرك برمبلك .

وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد .. لمجرد أنك ترى كل شيء حولك فى حاجة الى موجد .

وأنت كمن يظن أن الله محتاج الى براشوت لينزل على البشر والى أتوبيس سريع ليصل الى أنبيائه . سبحانه وتعالى عن هذه الاوصاف علوا كبيرا .

« وعمانويل كانت » الفيلسوف الالمانى فى كتابه « نقد العقل الخالص » أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط بالحقائق اللامحدودة وانه مهيأ بطبيعته لادراك الجزئيات فقط بينما هو قاصر عن ادراك الوجود الكلى مثل الوجود الالهى .. وانما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل .. شوقنا الى العدل كان دليلنا على وجود العادل .. كما أن ظمأنا الى الماء هو دليلنا على وجود الماء .

أما أرسطو فقد استطرد فى تسلسل الاسباب قائلا : ان الكرسى من الخشب والخشب من الشجرة والشجرة من البذرة والبذرة من الزارع .. واضطر الى القول بأن هذا

الاستطراد المتسلسل فى الزمن اللانهائي لابد وأن ينتهي بنا فى البدء الاول الى سبب فى غير حاجة الى سبب ·· سبب أول أو محرك أول فى غير حاجة الى من يحركه ·· خالق فى غير حاجة الى خالق ·· وهو نفس ما نقوله عن الله ·

أما ابن عربى فكان رده على هذا السؤال (سؤال من خلق الخالق) ·· بأنه سـؤال لا يرد الا على عقل فاسـد ·· فالله هـو الذى يبرهن على الوجـود ولا يصح أن نتخذ من الوجود برهانا على الله ·· تماما كمـا نقول أن النور يبرهن على النهار ·· ونعكس الآية لو قلنـا ان النهـار يبرهـن على النـور ·

يقول الله في حديث قدسي :

(أنا يستدل بى ·· أنا لا يستدل علي) ·

فالله هو الدليل الذى لا يحتاج الى دليل لان الله هـو الحق الواضح بذاته ·· وهـو الحجة على كل شيء ·· الله ظاهر في النظام والدقة والجمال والاحكام ·· فى ورقة الشجر ·· فى ريشة الطاووس فى جناح الفراش ·· فى عطر الورد ·· فى صدح البلبل ·· فى ترابط النجوم والكواكب فى هـذا القصـيد السيمفونى الذى اسـمه الكون ·· لو قلنا ان كل هـذا جاء صدفة ·· لكنا كمن يتصور أن القاء حروف مطبعة فى الهواء يمـكن أن يؤدى الى تجمعها تلقائيا على شـكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف ·

والقرآن يغنينا عن هذه المجادلات بكلمـات قليلة وبليغـة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف :

« قل هـو الله أحـد الله الصـمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » ·

●

ويسألنا صاحبنا ساخرا ·· ولماذا تقولون أن الله واحد ·· لماذا لا يكون الالهة متعددين ·· يتوزعون بينهم الاختصاصات ·

وسوف نرد عليه بالمنطق الذى يعترف به ٠٠ بالعلم وليس بالقرآن ٠

سوف نقول له ان الخالق واحد لان الكون كله مبنى من خامة واحدة وبخطة واحدة ٠٠ فمن الايدروجين تألفت العناصر الاثنان والتسعون التي في جدول مندليف بنفس الطريقة « بالادماج » وانطلاق الطاقة الذرية التى تتأجج بها النجوم وتشتعل الشموس فى فضاء الكون ٠

كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون (جميع صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق) على مقتضى خطة تشريحية واحدة ٠ تشريح الضفدعة والارنب والحمامة والتمساح والزرافة والحوت يكشف عن خطة تشريحية واحدة نفس الشرايين والاوردة وغرفات القلب ٠٠ ونفس العظام كل عظمة لها نظيرتها ٠٠ الجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدعة ٠٠ نفس العظام مع تحور طفيف ٠٠ والعنق فى الزرافة على طوله نجد فيه نفس الفقرات السبع التى نجدها فى عنق القنفذ ٠٠ والجهاز العصبى هو هو فى الجميع يتألف من مخ وحبل شوكى وأعصاب حس وأعصاب حركة ٠٠ والجهاز الهضمى من معدة « واثنا عشر » وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة ٠٠ والجهاز التناسلى نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها ٠٠ والجهاز البولى ، الكلية والحالب ، وحويصلة البول ٠٠ ثم الوحدة التشريحية في الجميع هى الخلية ٠٠ وهى فى النبات كما فى الحيوان كما فى الانسان نفس المواصفات ٠٠ تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد بنفس الطريقة ٠

فأية غرابة بعد هذا أن نقول أن الخالق واحد ٠

ولماذا يتعدد الكامل ٠٠ وهل به نقص ليحتاج الى من يكمله . انما يتعدد الناقصون ٠

ولو تعدد الالهة لاختلفوا ولذهب كل اله بما خلق ولفسدت الارض ٠

والله له الكبرياء والجبروت وهذه صفات لا تحتمل الشركة ٠

●

ويسخر صاحبنا من معنى الربوبية كما نفهمه .. ويقول اليس عجيبا ذلك الرب الذى يتدخل في كل صغيرة وكبيرة فيأخذ بناصية الدابة ويوحي الى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا .. وما تسقط من ورقة الا يعلمها .. وما تخرج من ثمرات من أكمامها الا أحصاها عددا .. وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه .. اذا عثرت قدم في حفرة فهو الذى أعثرها .. واذا سقطت ذبابة فى طعام فهو الذى أسقطها .. واذا تعطلت الحرارة فى تليفون فهو الذى عطلها .. واذا امتنع المطر فهو الذى منعه واذا هطل فهو الذى أهطله .. الا تشغلون الهكم بالكثير التافه من الامور بهذا الفهم .

ولا أفهم أيكون الرب فى نظر السائل أجدر بالربوبية لو أنه أعفى نفسه من هذه المسئوليات وأخذ أجازة وأدار ظهره للكون الذى خلقه وتركه يأكل بعضه بعضا .

هل الرب الجدير فى نظره هو رب عاطل مغمى عليه لا يسمع ولا يرى ولا يستجيب ولا يعتنى بمخلوقاته . ثم من أين للسائل بالعلم بأن موضوعا ما تافه لا يستحق تدخل الاله وموضوعا آخر مهم وخطير الشأن .

ان الذبابة التي تبدو تافهة فى نظر السائل فلا يهم فى نظره أن تسقط فى الطعام أو لا تسقط هذه الذبابة يمكن أن تغير التاريخ بسقوطها التافه ذلك .. فانها يمكن أن تنقل الكوليرا الى جيش وتكسب معركة لطرف آخر تتغير بعدها موازين التاريخ كله .

ألم تقتل الاسكندر الاكبر بعوضة .

ان أتفه المقدمات ممكن أن تؤدى الى أخطر النتائج .. وأخطر المقدمات ممكن أن تنتهى الى لا شيء .. وعالم الغيب وحده هو الذى يعلم قيمة كل شيء .

وهل تصور السائل نفسه وصيا على الله يحدد له اختصاصاته .. تقدس وتنزه ربنا عن هذا التصور الساذج .

انما الاله الجدير بالالوهية هنا هو الاله الذى أحاط بكل شيء علما .. لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . الاله السميع المجيب المعتنى بمخلوقاته .

● إذا كان الله قدّر علىّ أفعالى فلماذا يحاسبنى؟

قال صديقى فى شماتة وقد تصـور أنه أمسـكنى من عنقى وأنه لا مهرب لى هذه المرة ٠

ـ انتم تقولون ان الله يجرى كل شىء فى مملكته بقضـاء وقدر وان الله قدر علينا أفعالنا ، فاذا كان هذا هو حالى ٠٠ وان افعالى كلها مقدرة عنده فلماذا يحاسبنى عليها ٠

لا تقل لى كعادتك ٠٠ أنا مخير ٠٠ فليس هناك فرية أكبر من هذه الفرية ٠

ودعنى أسألك ٠

هل خيرت فى ميلادى وجنسى وطـولى وعـرضى ولـونى ووطنى ؟؟

هل باختيارى تشرق الشمس ويغرب القمر ؟؟

هل باختيارى ينزل على القضاء ويفاجئنى الموت وأقـع فى المأساة فلا أجد مخرجا الا الجريمة ٠٠ لماذا يكرهنى الله عـلى فعل ثم يؤاخذنى عليه ؟

واذا قلت انك حر وان لك مشيئة الى جوار مشيئة اللـه ألا تشرك بهذا الكلام وتقع فى تعدد المشيئات ٠

ثم ماقولك في حكم البيئة والظروف وفي الحتميات التي يقول بها الماديون التاريخيون ·

أطلق صاحبي هذه الرصاصات ثم راح يتنفس الصعداء في راحة وقد تصور انى توفيت وانتهيت ولم يبق أمامه الا استحضار الكفن ·

قلت له في هدوء :

ـ أنت واقع في عدة مغالطات ·· فافعالك معلومة عند الله في كتابه ، ولكنها ليست مقدورة عليك بالاكراه ·· انها مقدرة في علمه فقط ·· كما تقدر أنت بعلمك ان ابنك سوف يزني ·· ثم يحدث ان يزني بالفعل ·· فهل اكرهته ·· ثم كان هذا تقديرا في العلم وقد أصاب علمك ·

أما كلامك عن الحرية بأنها فرية وتدليلك على ذلك بأنك لم تخير في ميلادك ولا في جنسك ولا في طولك ولا في لونك ولا في موطنك ·· وانك لاتملك نقل الشمس من مكانها ·· فهو تخليط آخر ·

وسبب التخليط هذه المرة أنك تتصور الحرية بطريقة غير تلك التي نتصورها نحن المؤمنون ·

أنت تتكلم عن حرية مطلقة ·· فتقول ·· أكنت أستطيع ان اخلق نفسي أبيض أو أسود أو طويلا أو قصيرا ·· هل بامكاني أن أنقل الشمس من مكانها أو أوقفها في مدارها ·· أين حريتي ·

ونحن نقول له ·· أنت تسأل عن حرية مطلقة ·· حرية التصرف في الكون وهذه ملك لله وحده ·· نحن أيضا لا نقول بهذه الحرية :

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)
٦٨ ـ القصص

ليس لأحد الخيرة في مسألة الخلق لان الله هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ·

ولن يحاسبك الله على قصرك ولن يعاتبك على طولك ولن يعاقبك لانك لم توقف الشمس فى مدارها ·

ولكن مجال المساءلة هو مجال التكليف ·· وأنت فى هذا المجال حر ·· وهذه هى الحدود التى نتكلم فيها ·

أنت حر فى أن تقمع شهوتك وتلجم غضبك وتقاوم نفسك وتزجر نياتك الشريرة وتشجع ميولك الخيرة ·

أنت تستطيع أن تجود بمالك ونفسك ·
أنت تستطيع أن تصدق وأن تكذب ·
وتستطيع ان تكف يدك عن المال الحرام ·
وتستطيع أن تكف بصرك عن عورات الآخرين ·
وتستطيع أن تمسك لسانك عن السباب والغيبة والنميمة ·
فى هذا المجال نحن احرار ·
وفى هذا المجال نحاسب ونسأل ·

الحرية التى يدور حولها البحث هى الحرية النسبية وليست الحرية المطلقة · حرية الانسان فى مجال التكليف ·

وهذه الحرية حقيقة ودليلنا عليها هو شعورنا الفطرى بها فى داخلنا ·· فنحن نشعر بالمسئولية وبالندم على الخطأ وبالراحة للعمل الطيب ·· ونحن نشعر فى كل لحظة أننا نختار ونوازن بين احتمالات متعددة ، بل ان وظيفة عقلنا الاولى هى الترجيح والاختيار بين البديلات ·

ونحن نفرق بشكل واضح وحاسم بين يدنا ترتعش بالحمى ويدنا وهى تكتب خطابا ·· فنقول ان الحركة الاولى جبرية قهرية والحركة الثانية حرة اختيارية ·· ولو كنا مسيرين فى الحالتين لما استطعنا التفرقة ·

ويؤكد هذه الحرية مانشعر به من استحالة إكراه القلب على شىء لايرضاه تحت أى ضغط ، فيمكنك ان تكره امرأة بالتهديد والضرب على ان تخلع ثيابها ·· ولكنك لاتستطيع بأى ضغط أو تهديد ان تجعلها تحبك من قلبها ·· ومعنى هذا ان اللــه

أعتق قلوبنا من كل صنوف الاكــراه والاجبــار وانه فطرهــا حــرة ٠

ولهذا جعل الله القلب والنية عمدة الاحكام ، فالمؤمن الذى ينطق بعبارة الشرك والكفر تحت التهديد والتعذيب لايحاسب على ذلك طالما ان قلبه من الداخل مطمئن بالايمان وقد استثناه الله من المؤاخذة فى قوله :

(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ١٠٦ ــ النحل

والوجه الآخر من الخلط فى هذه المســـألة ان بعض الناس يفهم حرية الانسان بأنها علو على المشيئة وانفراد بالامر فينهم القائلين بالحرية بانهم اشركوا بالله وجعلوا له اندادا يأمــرون كأمره ويحكمون كحكمه وهذا مافهمنه أنت أيضـــا ٠٠ فقلت بتعدد المشيئات ٠٠ وهو فهم خاطىء ٠٠ فالحرية الانســـانية لاتعلو على المشيئة الالهية ٠٠

ان الانسان قد يفعل بحريته ما ينافى الرضا الالهى ولكنــه لايستطيع ان يفعل ماينافى المشيئة ٠

الله اعطانا الحرية ان نعلو على رضاه (فنعصيه) ، ولكــن لم يعط احدا الحرية فى ان يعلو على مشيئته ٠٠ وهنا وجـــه آخر من وجوه نسبية الحرية الانسانية ٠

وكل مايحدث منا داخل فى المشيئة الالهية وضـــمنها وان خالف الرضا الالهى وجانب الشريعة ٠

وحريتنا ذاتها كانت منحة الهية وهبة منحهــا لنــا الخــالق باختياره ٠٠ ولم نأخذها منه كرها ولا غصبا ٠

ان حريتنا كانت عين مشيئته ٠

ومن هنا معنى الآية :

(وما تشاؤون الا أن يشاء الله) ٣٠ ــ الانسان

لان مشيئتنا ضمن مشيئته ٠٠ ومنحة منه ٠٠ وهبة مـــن كرمه وفضله ٠٠ فهى ضمن ارادته ، لاثنائية ولا تنــاقض ٠٠ ولامنافسة منا لامر الله وحكمه ٠

والقول بالحرية بهذا المعنى لاينافى التوحيد ، ولا يجعل له

اندادا يحكمون كحكمه ويأمرون كأمره .. فان حرياتنا كانت عين أمره ومشيئته وحكمه .

والوجه الثالث للخلط أن بعض من تناولوا مسألة القضاء والقدر والتسيير والتخيير .. فهموا القضاء والقدر بأنه اكراه الانسان على غير طبعه وطبيعته وهذا خطأ وقعت فيه أنت أيضا .. وقد نفى الله عن نفسه الاكراه بآيات صريحة :

(ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) ٤ ـ الشعراء

والمعنى واضح .. انه كان من الممكن أن نكره الناس على الايمان بالآيات الملزمة ولكننا لم نفعل .. لانه ليس في سنننا الاكراه .

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ٢٥٦ ـ البقرة

(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ٩٩ ـ يونس

ليس في سنة الله الاكراه .

والقضاء والقدر لايصح ان يفهم انه اكراه للناس على غير طبائعهم .. وانما على العكس ، الله يقضي على كل انسان من جنس نيته ويشاء له من جنس مشيئته ويريد له من جنس ارادته ، لاثنائية .. تسيير الله هو عين تخيير العبد لان الله يسير كل امرىء على هوى قلبه وعلى مقتضى نياته .

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) ٢٠ ـ الشورى

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) ١٠ ـ البقرة

(والذين اهتدوا زادهم هدى) ١٧ ـ محمد

وهو يخاطب الاسرى في القرآن .

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) ٧٠ ـ الانفال

الله يقضي ويقدر ويجري قضاءه وقدره على مقتضى النية والعلم .. أن شرا بشر وأن خيرا بخير .

ومعنى هذا انه لاثنائيـة ٠٠ التسـيير هـو عـين التخيير ولا ثنائية ولا تناقض ٠

الله يسيرنا الى ما اخترناه بقلوبنا ونياتنا فلا ظلم ولا اكراه ولا جبر ٠٠ ولا قهر لنا على غير طبائعنا ٠

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسـنى فسنيسره للعسرى)
٥ ـ ١٠ ـ الليل

(ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) ١٧ ـ الانفال

هنا تلتقى رمية العبد والرمية المقدرة من الرب فتكون رمية واحدة ٠٠ وهذا مفتاح لغز القضاء والقدر ٠٠ على العبد النية وعلى الله التمكين ان خيرا بخير وان شرا بشر ٠

والحرية الانسانية ليست مقدارا ثابتا ولكنها قدرة نسبيـة قابلة للزيادة ٠

الانسان يسـتطيع ان يزيد من حريتـه بالعلم ٠٠ باختراع الوسائل والادوات والمواصلات استطاع الانسـان ان يطوى الارض ويهزم المسـافات ويخترق قيود الزمان والمكـان ٠٠ وبدراسـة قوانين البيئة اسـتطاع أن يتحكم فيها ويسـخرها لخدمتـه وعـرف كيف يهزم الحر والبرد والظـلام وبذلك يضاعف من حرياته فى مجال الفعل ٠

العلم كان وسيلة الى كسر القيود والاغلال واطلاق الحرية ٠

أما الوسيلة الثانية فكانت الدين ٠٠ الاستمداد من اللـه بالتقرب منه ٠٠ والاخذ عنه بالوحى والتلقى والتأييد ٠٠ وهذه وسيلة الانبياء ومن فى دربهم ٠

سخر سليمان الجن وركب الريح وكلم الطير بمعونة اللـه ومدده ٠٠ وشق موسى البحر ٠٠ وأحيا المسيح الموتى ومشى على الماء وأبرأ الاكمة والابرص والاعمى ٠

ونقرأ عن الاولياء اصحاب الكرامات الذين تطوى لهم الارض وتكشف لهم المغيبات ٠

وهى درجات من الحرية اكتسبوها بالاجتهـاد فى العبـادة

والتقرب الى الله والتحبب اليه .. فأفاض عليهم من علمه المكنون .

انه العلم مرة أخرى .

ولكنه هذه المرة العلم « اللدنى » .

ولهذا يلخص أبو حامد الغزالى مشكلة المخير والمسير قائلا فى كلمتين :

الانسان مخير فيما يعلم ..

مسير فيما لايعلم ..

وهو يعنى بهذا انه كلما اتسع علمه كلما اتسع مجال حريته .. سواء كان العلم المقصود هو العلم الموضوعى أو العلم اللدنى .

●

ويخطىء المفكرون الماديون أشد الخطأ حينما يتصورون الانسان أسير الحتميات التاريخية والطبقية ويجعلون منه حلقة فى سلسلة من الحلقات لا فكاك له ولا مهرب من الخضوع لقوانين الاقتصاد وحركة المجتمع وكأنما هو قشة فى تيار بلا ذراعين وبلا ارادة ..

والكلمة التى يرددونها ولا يتعبون من ترديدها وكأنها قانون .. « حتمية الصراع الطبقى » .. هى كلمة خاطئة فى التحليل العلمى .. لانه لا حتميات فى المجال الانسانى .. وانما على الاكثر ترجيحات واحتمالات .. وهذا هو الفرق بين الانسان .. وبين التروس والآلات والاجسام المادية .. فيمكن التنبؤ بخسوف الشمس بالدقيقة والثانية ويمكن التنبؤ بحركاتها المستقبلة على مدى أيام وسنين .. اما الانسان فلا يمكن ان يعلم احد ماذا يضمر وماذا يخبىء فى نياته وماذا يفعل غدا أو بعد غد .. ولا يمكن معرفة هذا الا على سبيل الاحتمال والترجيح والتخمين وذلك على فرض توفر المعلومات الكافية للحكم .

وقد أخطأت جميع تنبؤات كارل ماركس فلم تبدأ الشيوعية

في بلد متقدم كما تنبأ بل في بلد متخلف . ولم يتفاقم الصراع بين الراسمالية والشيوعية بل تقارب الاثنان الى حالة من التعايش السلمي وأكثر من هذا فتحت البلاد الشيوعية ابوابها لراس المال الامريكي .. ولم تتصاعد التناقضات في المجتمع الراسمالي الى الافلاس الذي توقعه كارل ماركس بل على العكس ازدهر الاقتصاد الرأسمالي ووقع الشقاق والخلاف بين أطراف المعسكر الاشتراكي ذاته .

أخطأت حسابات ماركس جميعها دالة بذلك على خطأ منهجه الحتمي .. ورأينا صراع العصر الذي يحرك التاريخ هو الصراع اللاطبقي بين الصين وروسيا وليس الصراع الطبقي الذي جعله ماركس عنوان منهجه .. وكلها شواهد على فشل الفكر المادي في فهم الانسان والتاريخ وتخبطه في حساب المستقبل .. وجاء كل ذلك نتيجة خطأ جوهري .. ان الفكر المادي تصور ان الانسان ذبابة في شبكة من الحتميات .. ونسى تماما ان الانسان حر .. وان حريته حقيقة .

أما كلام الماديين عن حكم البيئة والمجتمع والظروف وان الانسان لا يعيش وحده ولا تتحرك حريته في فراغ .

نقول ردا على هذا الكلام أن حكم البيئة والمجتمع والظروف كمقاومات للحرية الفردية يؤكد المعنى الجدلي لهذه الحرية ولا ينفيه .. فالحرية الفردية لا تؤكد ذاتها الا في وجه مقاومة تحرجها .. أما اذا كان الانسان يتحرك في فراغ بلا مقاومة من اى نوع فانه لا يكون حرا بالمعنى المفهوم للحرية لانه لن تكون هناك عقبة يتغلب عليها ويؤكد حريته من خلالها .



● لماذا خلق الله الشر؟

قال صاحبى ساخرا :

كيف تزعمون أن الهكم كامل ورحمن ورحيم وكريم ورءوف وهو قد خلق كل هذه الشرور فى العالم .. المرض والشيخوخة والموت والزلزال والبركان والميكروب والسم والحر والزمهرير وآلام السرطان التى لا تعفى الطفل الوليد ولا الشيخ الطاعن .

اذا كان الله محبة وجمالا وخيرا فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر .

والمشكلة التى أثارها صاحبى من المشاكل الاساسية فى الفلسفة وقد انقسمت حولها مدارس الفكر واختلفت حولها الآراء .

ونحن نقول . ان الله كله رحمة وكله خير وانه لم يأمر بالشر ولكنه سمح به لحكمة .

(ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون . قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)

٢٨ ــ الاعراف

الله لا يأمر الا بالعدل والمحبة والاحسان والعفو والخير وهو لا يرضى الا بالطيب .

فلماذا ترك الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق ·
لان الله أرادنا أحرارا ·· والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب ·· والاختيار الحر بين المعصية والطاعة ·
وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعا أخيارا وذلك بأن يقهرنا على الطاعة قهرا وكان ذلك يقتضى أن يسلبنا حرية الاختيار ·
وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الالم أكرم للانسان من العبودية مع السعادة ·· ولهذا تركنا نخطىء ونتألم ونتعلم وهذه هي الحكمة في سماحه بالشر ·
ومع ذلك فان النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء ·· فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء ونحن نقضى معظم سنوات عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض الا أياما قليلة ·· وبالمثل الزلازل هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الارضية الذى يحصى بملايين السنين وكذلك البراكين وكذلك الحروب هي تشنجات قصيرة في حياة الامم بين فترات سلام طويلة ممتدة ·
ثم اننا نرى لكل شيء وجه خير فالمرض يخلف وقاية والالم يربى الصلابة والجلد والتحمل والزلازل تنفس عن الضغط المكبوت في داخل الكرة الارضية وتحمى القشرة الارضية من الانفجار وتعيد الجبال الى أماكنها كأحزمة وثقالات تثبت القشرة الارضية في مكانها . والبراكين تنفث المعادن والثروات الخبيئة الباطنة وتكسو الارض بتربة بركانية خصبة ·· والحروب تدمج الامم وتلقح بينها وتجمعها في كتل وأحلاف ثم في عصبة أمم ثم في مجلس أمن هو بمثابة محكمة عالمية للتشاكي والتصالح ·· وأعظم الاختراعات خرجت أثناء الحروب ·· البنسلين الذرة الصواريخ الطائرات النفاثة كلها خرجت من أتون الحروب ·
ومن سم الثعبان يخرج الترياق ·

ومن الميكروب نصنع اللقاح ٠

ولولا أن أجدادنا ماتوا لما كنا الآن في مناصبنا ٠ والشر في الكون كالظل في الصورة اذا اقتربت منه خيل اليك أنه عيب ونقص في الصورة ٠٠ ولكن اذا ابتعدت ونظرت الى الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت أنه ضروري ولا غنى عنه وانه يؤدي وظيفة جمالية في البناء العام للصورة ٠

وهل كان يمكننا أن نعرف الصحة لولا المرض٠٠ ان الصحة نظل تاجا على رؤوسنا لا نراه ولا نعرفه الا حينما نمرض ٠

وبالمثل ما كان ممكنا أن نعرف الجمال لولا القبح ولا الوضع الطبيعي لولا الوضع الشاذ ٠

ولهذا يقول الفيلسوف أبو حامد الغزالي : ان نقص الكون هو عين كماله مثل اعوجاج القوس هو عين صلاحيته ولو انه استقام لما رمى ٠

وظيفة أخرى للمشقات والآلام ٠٠ انها هي التي تفرز الناس وتكشف معادنهم ٠

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

انها الامتحان الذي نعرف به أنفسنا٠٠٠ والابتلاء الذي تتحدد به مراتبنا عند الله ٠

ثم ان الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها ٠

ولا يجوز أن نحكم على مسرحية من فصل واحد ولا أن نرفض كتابا لان الصفحة الاولى لم تعجبنا ٠

الحكم هنا ناقص ٠

ولا يمكن استطلاع الحكمة كلها الا في آخر المطاف ٠٠ ثم ما هو البديل الذي يتصوره السائل الذي يسخر منا ٠

هل يريد أن يعيش حياة بلا موت بلا مرض بلا شيخوخة بلا نقص بلا عجز بلا قيود بلا أحزان بلا آلام ٠

هل يطلب كمالا مطلقا ٠

ولكن الكمال المطلق لله ٠

والكامل واحد لا يتعدد ٠٠ ولماذا يتعدد ٠٠ وماذا ينقصه ليجده في واحد آخر غيره .

معنى هذا أن صاحبنا لن يرضيه الا أن يكون هو الله ذاته وهـــو التطاول بعينه ٠

ودعونا نسخر منه بدورنا ٠٠ هو وأمثاله ممن لا يعجبهم شيء ٠

هؤلاء الذين يريدونها جنـــة ٠

ماذا فعلوا ليستحقونها جنة ٠

وماذا قدم صاحبنا للانسانية ليجعل من نفسه الله الواحد القهار الذى يقول للشيء كن فيكون ٠

ان جدتي أكثر ذكاء من الاستاذ الدكتور المتخرج من فرنسا حينما تقول في بســاطة :

« خير من الله شر من نفوسنا » ٠

انها كلمات قليلة ولكنها تلخيص أمين للمشـــكلة كلها ٠٠ فالله أرسل الرياح وأجرى النهر ولكن ربان السفينة الجشـــع ملأ سفينته بالناس والبضائع بأكثر مما تحتمل فغرقت فمضى يسب الله والقدر ٠٠ وما ذنب الله ٠٠ الله أرسل الرياح رخاء وأجرى النهر خيرا ٠٠ ولكن جشع النفوس وطمعها هو الذى قلب هـــذا الخير شرا ٠

ما أصدقها من كلمات جميلة طيبة ٠

« خير من الله شر من نفوسنا » ٠



● وما ذنب الذى
لم يصله قرآن ؟

هرش صاحبنا الدكتور رأسه ٠

كان من الواضح أنه يبحث لى فى الدكتوراه عن حفرة أو مطب يدق عنقى فيه ٠٠ ثم قال فى هدوء وهو يرتب كلماته:

ـ حسنا ٠٠ وما رأيك فى هذا الانسان الذى لم يصله قرآن ولم ينزل عليه كتاب ٠٠ ولم يأته نبى ٠٠ ما ذنبه ٠٠ وما مصيره عندكم يوم الحساب ٠٠ مثل اسكيمو فى أقاصى القطبين ٠٠ أو زنجى فى الغابات ٠٠ ماذا يكون حظه بين يدى الهكم يوم القيامة ٠

قلت له :

ـ دعنى أصحح معلوماتك أولا ٠٠ فقد بنيت أسئلتك على مقدمة خاطئة ٠٠ فالله أخبرنا بأنه لم يحرم أحدا من رحمته ووحيه وكلماته وآياته ٠

(وان من أمة الا خلا فيها نذير) ٢٤ ـ فاطر

(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) ٣٦ ـ النحل

والرسل الذين جاء ذكرهم فى القرآن ليسوا كل الرسل٠٠ وانما هناك آلاف غيرهم لا نعلم عنهم شيئا ٠٠ والله يقول لنبيه عن الرسل :

(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ٧٨ ـ غافر

والله يوحى الى كل شىء حتى النحل ٠

(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن

وقد يكون الوحي كتـابا يلقيـه جبريل ٠٠ وقد يكون نورا يلقيه الله فى قلب العبد ٠٠ وقد يكون انشراحا فى الصدر ٠٠ وقد يكون حكمة وقد يكون حقيقة وقد يكون فهما وقد يكون خشوعا ورهبة وتقوى ٠

وما من أحــد يرهف قلبه ويرهف سمعه الا ويتلقى من الله فضـــلا ٠

أما الذين يصمون آذانهم وقلوبهم فلا تنفعهم كتب ولا رسل ولا معجزات ولو كثرت ٠

والله قال انه يختص برحمته من يشاء ٠٠ وانه لا يسأل عما يفعل ٠

وقد يريد الله لحكمة يعلمها أن ينذر أحـدا وأن يعذر آخر فيقبل منه أهون الايمان ٠

ومن يدرينا ٠٠ ربما كانت مجـــرد لفتة من ذلك الزنجى البدائى الى السماء فى رهبة هى عند الله منجية ومقبولة أكثر من صـــلاتنا ٠

على أن القراءة المتأملة لأديان هؤلاء الزنوج البدائيين تدل على أنه كان لهم رسل ورسالات سماوية مثل رسالاتنا ٠

فى قبيلة الماو ماو مثــلا نقرأ أنهم يؤمنون باله يسمونه « موجايى » ويصفونه بأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد وليس له كفــو ولا شـــبيه ٠٠ وانه لا يرى ولا يعرف الا من آثاره وأفعاله ٠٠ وانه خـــالق رازق وهاب رحيم يشـــفى المريض وينجد المأزوم وينزل المطر ويسمع الدعاء ويصفونه بأن البرق خنجره والرعد وقع خطاه ٠

أليس هذا الـ « موجايى » هو الهنا بعينه ٠ ومن أين جاءهم هذا العلم الا أن يكون فى تاريخهم رسول ومبـلغ جاء به ٠٠ ثم تقادم عليـــه العهد كالمعتاد فدخلت الخرافات والشعوذات وشوهت هذا النقاء الدينى ٠

وفى قبيلة نيام نيام نقرأ أنهم يؤمنون باله واحد يسمونه

« مبولى » ويقولون ان كل شيء فى الغابة يتحرك بارادة «مبولى» وانه يسلط الصواعق على الاشرار من البشر .. ويكافيء الأخيار بالرزق والبركة والامان .

وفى قبيلة الشيلوك يؤمنون باله واحد يسمونه « جوك » ويصفونه بأنه خفى وظاهر .. وانه فى السماء وفى كل مكان وانه خالق كل شيء .

وفى قبيلة الدنكا يؤمنون باله واحد يسمونه « نيالاك » وهى كلمة ترجمتها الحرفية .. الذى فى السماء .. أو الاعلى .

ماذا نسمى هذه العقائد الا أنها اسلام .

وماذا تكون الا رسالات كان لها فى تاريخ هؤلاء الاقوام رسل .

ان الدين لواحد .

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٦٢ ـ البقرة

حتى الصابئين الذين عبدوا الشمس على أنها آية من آيات الله وآمنوا بالله الواحد وبالآخرة والبعث والحساب وعملوا الصالحات فلهم أجرهم عند ربهم .

ومعلوم أن رحمة الله تتفاوت .

وهناك من يولد أعمى وهناك من يولد مبصرا وهناك من عاش أيام موسى ورآه رأى العين وهو يشق البحر بعصاه .. وهناك من عاش أيام المسيح ورآه يحيى الموتى .. أما نحن فلا نعلم عن هذه الآيات الا سمعا .. وليس الخبر كالعيان .. وليس من رأى كمن سمع .

ومع ذلك فالايمان وعدمه ليس رهنا بالمعجزات .

والمكابرون المعاندون يرون العجب من أنبيائهم فلا يزيد قولهم على أن هذا « سحر مفترى » .

ولا شك أن صاحبنا الدكتور القادم من فرنسا قد بلغه من الكتب ثلاثة .. توراة وانجيل وقرآن وبلغته .. فلم تزده هذه الكتب الا اغراقا فى الجدل .. وحتى يهرب من الموقف كله

احاله على شخص مجهول فى الغابات لم ينزل عليه كتاب ..
وراح يسألنا .. وما بالكم بهذا الرجل الذى لم يصله قرآن
ولم ينزل عليه كتاب .. ملتمسا بذلك ثغرة فى العدل الالهى
أو موهما نفسه بأن المسألة كلها عبث .

وهو لذلك يسألنا « ولماذا تتفاوت رحمة الله » .. لماذا يشهد الله واحدا على آياته .. ولا يدرى آخر بتلك الآيات الا سمعا .

ونحن نقول انها قد لا تكون رحمة بل نقمة ألم يقل الله لأتباع المسيح الذين طلبوا نزول مائدة من السماء محذرا :

(انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) ١٥ ـ المائدة

ذلك لانه مع نزول المعجزات يأتى دائما تشديد العذاب لمن يكفر .

وطوبى لمن آمن بالسماع ودون أن يرى معجزة .

والويل للذين شاهدوا ولم يؤمنوا .

فالقرآن فى يدك حجة عليك ونذير .. ويوم الحساب يصبح نقمه لا رحمة .

وعدم اقامة هذه الحجة البينة على الاسكيمو ساكن القطبين قد يكون اعفاء وتخفيفا ورحمة ومغفرة يوم الحساب .. وقد تكون لفتة الى السماء من هذا الاسكيمو الجاهل ذات ساعة فى عمره .. عند الله كافية لقبوله مؤمنا مخلصا .

أما لماذا يرحم الله واحدا أكثر مما يرحم آخر فهو أمر يؤسسه الله على علمه بالقلوب .

(فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا) ١٨ ـ الفتح

وعلم الله بنا وبقلوبنا يمتد الى ما قبل نزولنا فى الارحام حينما كنا عنده أرواحا حول عرشه .. فمنا من التف حول نوره .. ومنا من انصرف عنه مستمتعا بالملكوت وغافلا عن جمال خالقه .. فاستحق الرتبة الدنيا من ذلك اليوم وسبق عليه القول .. هذا كلام أهل المشاهدة .

وما نراه من تاريخنا القصير في الدنيا ليس كل شيء ٠

ومعرفة الحكمة من كل ألم وحرمان أمر لا يعلمه الا العليم ٠

والذي يسألني ٠٠ لماذا خلق الله الخنزير خنزيرا ٠٠ لا أملك الا أن أجيبه بأن الله اختار له ثوبا خنزيريا لان نفسه خنزيرية وأن خلقه هكذا حق وعدل ٠

وكل ما نرى حولنا من استحقاقات هي عدل لكن معرفة الحكمة الكلية واماطة اللثام عن هذا العدل أمر ليس في مقدور كل واحـــــد ٠

ولعل لهذا السبب هنــــاك آخرة ٠٠ ويوم تنصب فيـــه الموازين وينبئنا العليم بكل ما اختلفنا فيه ٠

ومع هذا فسوف أريحك بالكلمــة الفصل ٠٠ فقد قال الله في كتابه انه لن يعذب الا من أنذرهم بالرسل ٠

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ١٥ ـ الاسراء

هل أرحتك واسترحت ٠

ثم دعني اقول لك يا صاحبي ٠

ان اعجب ما في سؤالك أن ظاهره يوهم بالايمان والاشفاق على الزنجي المسكين الذي فاته ما في القرآن من نور ورحمة وهدى ٠٠ مع أن حقيقتك هي الكفر بالقرآن وبنوره ورحمته وهداه ٠٠ فسؤالك اقرب ما يكون الى الاستدراج والمخادعة وفيه مناقضة للنفس هي «المكاعة» بعينها ٠٠ فأنت تحاول أن تقيم علينا حجة هي عندك ليس لها أي حجة ٠

ألا ترى معي يا صاحبي أن جهاز المنطق عندك في حاجـــة الى اصــــلاح ٠



• الجنة والنـــار

كان صديقنا الدكتور واثقا من نفســه كل الثقة هذه المرة وهـــو يلوك الكلمات ببطء ليلقى بالقنبلة ـ كيف يعذبنا الله وهو الرحمن الرحيم على ذنب محدود فى الزمن بعذاب لا محدود في الابد (النار خالدين فيها أبدا) ومن نحن وماذا نســـاوى بالنسبة لعظمة الله حتى ينتقم منا هذا الانتقام ٠٠ وما الانسان الا ذرة أو هباة فى الكون وهو بالنسبة لجلال الله أهون من ذلك بكثير ٠٠ بل هو اللاشيء بعينه ٠

ونحن نصحح معلومات الدكتور فنقول :

أولا ـ اننا لســـنا ذرة ولا هباة فى الكون ٠٠ وان شأننا عند الله ليس هينا بل عظيما ٠٠ ألم ينفخ فينا من روحه ٠٠ الم يسجد لنا الملائكة ٠٠ الم يعدنا بميراث السموات والارض ويقـول عنـا :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضـــلناهم على كثـــير ممن خلقنا تفضـــلا)

٧٠ ـ الاسراء

ان فينا اذن من روح الله ٠

ونحن بالنسبة للكون لسنا ذرة ولا هباة ٠٠ اننا نبدو بالنظر الى اجسادنا كذرة أو هباة بالنسبة للكون الفسيح الواسع ٠

ولكن ألا نحتوى على هذا الكون ونستوعبه بعقلنا وندرك قوانينه وأفلاكه ونرسم لكل كوكب مداره ٠٠ ثم ينزل رائد الفضاء على القمر فيكتشف أن كل ما استوعبناه بعقلنا على الارض كان صحيحا ٠٠ وكل ما رسمناه كان دقيقا ٠

الا يدل هذا على أننا بالنظر الى روحنا أكبر من الكون واننا نحتوي عليه ٠٠ وان الشاعر كان على حق حينما خاطب الانسان قائلا :

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الاكبر

وان الانسان كما يقول الصوفية هو الكتاب الجامع والكون صفحاته ٠

اذن فالانسان عظيم الشأن كبير الخطر ٠

وهو من روح الله ٠

وأعماله تستوجب المحاسبة ٠

اما عن الذنب المحدود في الزمان الذى يحاسبنا الله عليه بعذاب لا محدود في الابد ٠٠ فمغالطة أخرى وقع فيها الدكتور العزيز الواثق من نفسه ٠

فالله يقول عن هؤلاء المخلدين في النار حينما يطلبون العودة الى الدنيا ليعملوا غير ما عملوا ٠٠ يقول سبحانه :

(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) ٢٨ ـ الانعام

أى ان ذنبهم ليس ذنبا محدودا في الزمان ٠٠ بل هو خصلة ثابتة سوف تتكرر في كل زمان ٠٠ ولو ردوا لعادوا الى ذنبهم وانهم لكاذبون ٠

هى اذن صفة مؤبدة في النفس وليست سقطة عارضة في ظرف عارض في الدنيا ٠

وهو يقول عنهم في مكان آخر :

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كمـــا يحلفون لـكم ويحسبون أنهم على شيء٠٠٠الا انهم هم الكاذبون) ١٨ ــ المجادلة

هنا لون آخر من الاصرار والتحدى يصل الى أنهم يواجهون الله بالكذب والحلف الكذب وهــم بين يديه يوم الموقف العظيم يوم ترفع الحجب وينكشف الغطاء ٠٠ وهـــــذا غاية الجبروت والصـــلف ٠

ولسنا هنا أمام ذنب محدود فى الزمان ٠

بل أمام ذنب مستمر فى الزمان وبعد أن يطوى الزمان وكل زمان ٠٠ نحن هنا أمام نفس تحمل معها شرها الابدى ٠

ومن هنا كان تأبيد العذاب لهذه النفس عدلا ٠

ولهذا تقول عنهم الآية فى صراحة :

(وما هم بخارجين من النار) ١٦٧ ــ البقرة

ويقول ابن عربى : ان الرحمة بالنسبة لهؤلاء انهم ســوف يتعودون على النار ٠٠ وتصـــبح تلك النار فى الآباد المؤبدة بيئتهم الملائمة ٠

ولا شك أن هناك مجانسة بين بعض النفوس المجرمة وبين النار ٠٠ فبعض تلك النفوس هى فى حقيقتها شعلة حســد وحقد وشهوة وغيرة وغل وضرام من الغضب والنقمة والثــورة والمشاعر الاجرامية المحتدمة وكأنها نار بالفعل ٠

مثل تلك النفوس لا تســتطيع أن تعيش فى ســـلام ٠

ولا تستطيع أن تحيا ســاعة دون أن تشعل حولها حربا ٠ ودون أن تضرم حــولها النيران ٠٠ لان النــيران هى بيئتها وطبيعتها ٠

ومثل تلك النفوس يكون قرارها فى النار هو الحكم العدل ويكون هذا المصير من قبيل وضع الشىء فى مكانه ٠٠ فلو أنها أدخلت الجنــة لمـا تذوقتها ٠

ألم تكن ترفض السلام فى الارض ؟

وينبغى أن نفهم النار والجنة فى الآخرة فهما واسع الافق ٠٠ فالنار فى الآخرة ليست شواية ٠ وليس ما يجرى فيها هــــ

الحريق بالمعنى الدنيوى فالله يقول ان المذنبين فى النار يتكلمون ويتلاعنون وان النار فيها شجرة لها ثمر .. هى شجرة الزقوم التى تخرج من أصل الجحيم .. كما أن فيها ماء حميما يشرب منــــه المعذبون .

مثل تلك النار التى فيها شجرة وفيها ماء .. ويتكلم فيها الناس لابد أنها نار غير النار :

(كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولـــكن لا تعلمون) ٣٧ ـ ٣٨ الاعراف

انهم يتكلمون وهم فى النار وهى نار :

(وقودها النـــاس والحجارة) ٢٤ ـ البقرة .

هـــذه النـــار اذن هى من قبيل الغيب .. وما ورد عنها اشـــارات .

ولا يجب أن يفهم من هـــذا الكلام أننا ننكر العذاب الحسى ونقول بالعذاب المعنوى .. فان العذاب الحسى صريح لا يجوز الشك فيه ونحن نؤمن بوجوده . وانما نقول ان تفاصيل هذا العذاب وكيفيته .. كمـــا أن كيفية تلك النـــار وأوصافها التفصـــيلية .. هى غيب مجهول .. فهى على ما يبـــدو فى الاشارات القرآنيـــة .. نار غير النار .. كما أن اجسامنا فى تحملها لتلك النار هى غير الاجسام الترابية الهشة التى لنـــا الآن ...

ونفس الشىء فى الجنة .. فهى ليست سوق خضار وبلح ورمان وعنب .. وانما تلك الاوصـــاف القرآنيـــة هى مجرد اشارات وضرب أمثلة وتقريب الى الاذهان .

(مثل الجنـــة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غـــير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه) ١٥ ـ محمد

« مثل الجنة » .. أى أننا نضرب مثلا يقرب فهم الجنة اليك ولكن الحقيقة أن التفاصيل غيب .

(فلا تعـــلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعمـــلون) ١٧ ـ السجدة

(جنة عرضها السموات والارض) ١٣٣ ـ آل عمران
فهى لا يمكن أن تكون مجرد حديقة .
(وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) ٣٢ ـ الواقعة
فهى غير فاكهتنا المقطوعة والممنوعة .. وخمر :
(لا يصدعون عنها ولا ينزفون)
فهى غير خمرنا التى تصدع الرأس وتنزف العقل .
ويقول القرآن عن أهل الجنة :
(ونزعنا ما فى صدورهم من غل) ٤٣ ـ الاعراف
ها هنا نفوس طهرت بطريقة لا نعلمها .
الجنة اذن هى الاخرى غيب وليس فى هذا الكلام أى انكار للنعيم الحسى فنحن نؤمن بأن الجنة نعيم حسى ومعنوى معا كما أن النار عذاب حسى ومعنوى ولكن ما نريد تأكيده أن تفاصيل هذا النعيم أو العذاب وكيفياته غيب . وأن الجنة ليست سوقا للفاكهة والخضار ولا النار فرنا لشوى اللحوم .
وان التعذيب فى الآخرة ليس تجبرا من الله على عبده وانما هو تطهير وتعريف وتقويم ورحمة .

(ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) ١٤٧ ـ النساء

فالاصل هو عدم العذاب .
والله لا يعذب العارف المؤمن وانما ينصب عذابه على الجاحد المنكر الذى فشلت معه كل وسائل الهداية والتعريف والتعليم .

(ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) ٢١ ـ السجدة
سنة الله أن يذيق هؤلاء من العذاب الاصغر فى الدنيا لايقاظهم من غفلتهم ولازعاجهم من هذا الصمم والسبات .. « لعلهم يرجعون » .
فاذا لم تفلح كل هذه الوسائل .. وظل المنكر على انكاره لم يبق الا مواجهته بالعذاب الحق لتعريفه .. والتعريف بالحق هو عين الرحمة .. ولو أن الله تركهم على عماهم وجهلهم

واحملهم لكان فى حقه ظلما .. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .. فالعرض على النار بالنسبة لهؤلاء الجهال .. عناية .

وكل افعال الله رحمة ..

يرحم الجاهل بالجحيم تاديبا وتعليما .

ويرحم العارف بالجنة فضلا وكرامة .

(عذابى اصيب به من اشـــاء ورحمتى وسعت كل شيء)
١٥٦ ـ الاعراف

فجعل رحمته تسع كل شيء حتى العذاب .

ثم دعونا نسال الدكتور .. أيكون الله أكثر عدلا فى نظره لو أنه ساوى بين الظالمين والمظلومين وبين السفاحين وضحاياهم فجمعهم لنكون حفلة شاى فى الآخرة .

وهل العدل فى نظر الدكتور أن يستوى الابيض والاسود ..

والذين يستبعدون على الله أن يعذب نقول : ألا يعذبنا الله بالعذاب فى دنيانا؟ .. وماذا تكون الشيخوخة والمرض والسرطان إلا العذاب بعينه .

ومن خالق الميكروب ..؟!!

أليست جميعها انذارات باننا امام اله يمكن أن يعذب .



● هل الدين أفيون؟

قال لى صاحبى الدكتور وهو يغمز بعينيه :

ـ وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين أفيون وانه يخدر الفقراء والمظلومين ليناموا على ظلمهم وفقرهم ويحلموا بالجنة والحور العين ٠٠ بينما يثبت الاغنياء على غناهم باعتبار أنه حق وأن الله خلق الناس درجات ؟

وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين لم ينزل من عند الله وانما طلع من الارض من الظروف والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحا لطبقة على طبقة ؟

وهو يشير بذلك الى الماديين وأفكارهم ٠

قلت :

ـ ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين أفيون ٠٠ فالدين فى حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات وليس تخففا وتحللا وبالتالى ليس مهربا من المسئوليات وليس أفيونا ٠

ودينا عمل وليس كسلا ٠

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) ١٠٥ ـ التوبة

ونحن نقول بالتوكل وليس بالتواكل ٠

والتوكل يقتضى عندنا العزم واستفراغ الوسع وبذل غاية الطاقة والحيلة ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحكمه ٠

(**فاذا عزمت فتوكل على الله**) ١٥٩ ـ آل عمران

العزم أولا ٠

والنبى يقول لمن يريد أن يترك ناقته سائبة توكلا على حفظ الله ٠٠ « اعقلها وتوكل » ٠٠ أى ابذل وسعك أولا فثبتها فى عقالها ثم توكل ٠

والدين صحو وانتباه ويقظة ومحاسبة للنفس ومراقبة للضمير فى كل فعل وفى كل كلمة وكل خاطر وليس هذا حال آكل الافيون ٠

انما آكل الافيون الحقيقى هو المادى الذى ينكر الدين هربا من تبعاته ومسئولياته ويتصور أن لحظته ملكه وانه لا حسيب ولا رقيب ولا بعث بعد الموت فيفعل ما يخطر على باله ، وأين هذا الرجل من المتدين المسلم الذى يعتبر نفسه مسئولا عن سابع جار ٠٠ واذا جاع فرد فى أمته أو ضربت دابة عاتب نفسه بأنه لم يقم بواجب الدين فى عنقه ٠

وليس صحيحا أن ديننا خرج من الارض ٠٠ من الظروف والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحا لطبقة على طبقة وتثبيتا لغنى الاغنياء وفقر الفقراء ٠

والعكس هو الصحيح ٠٠ فالاسلام جاء ثورة على الاغنياء والكانزين المال والمستغلين والظالمين ٠ فأمر صراحة بان لا يكون المال دولة بين الاغنياء يحتكرونه ويتداولونه بينهم وانما يكون حقا للكل ٠

(**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**) ٣٤ ـ التوبة

والانفاق يبدأ من زكاة اجبارية ٢½ فى المائة ٠٠ ثم يتصاعد اختياريا الى كل ما فى الجيب وكل ما فى اليد فلا تبقى لنفسك الا خبزك كفافك ٠

(**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) ٢١٩ ـ البقرة

والعفو هو كل ما زاد عن الكفاف والحاجة ٠

وبهذا جمع الاسلام بين التكليف الجبرى القانونى والتكليف الاختيارى القائم على الضمير ، وهـذا أكرم للانسان من نزع أملاكه بالقهر والمصادرة ٠

ووصل بالاتفاق الى ما فوق التسعين فى المائة دون ارهاق ٠

ولم يأت الاسلام ليثبت ظلم الظالمين بل جاء ثورة صريحة على كل الظالمين وجاء سـيفا وحـربا عـلى رقاب الطواغيت والمسـتبدين ٠

أما التهمة التى يسـوقها الماديون بأن الدين رجعى وطبقى بدليل الآيات :

(**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق**) ٧١ ـ النحل

(**ورفعنا بعضـهم فوق بعض درجات**) ٣٢ ـ الزخرف

فنحن نرد بأن هذه الآيات تنطبق على لندن وباريس وبرلين وموسـكو بمثل ما تنطبق على القاهرة ودمشق وجـدة ، واذا مشينا فى شوارع موسكو فسوف نجد من يسير على رجليه ٠ ومن يركب بسكليت ٠ ومن يركب عربة موسكوفتش ٠ ومن يركب عربة زيم فاخرة ٠٠ وماذا يكون هـذا الا التفاضل فى الرزق بعينه والدرجات والرتب الاقتصادية ٠

والتفاوت بين الناس حقيقة جوهرية ٠

ولم تستطع الشيوعية أن تلغى التفاوت ٠

ولم يقل حتى غلاة المادية والفوضوية بالمساواة ٠

والمساواة غير ممكنة فكيف نساوى بين غير متساويين ٠

النـاس يولدون من لحظة الميـلاد غير متسـاوين فى الذكاء والقوة والجمال والمواهب ٠٠ يولدون على درجات فى كل شىء ٠

واقصى ما طمعت فيه المذاهب الاقتصادية هى المساواة فى الفرص وليس المساواة بين الناس ٠٠ أن يلقى كل واحد نفس الفرصة فى التعليم والعلاج والحد الادنى للمعيشة ٠٠ وهـو نفس ما تحض عليه الاديان ٠٠ أما الغاء الدرجات والغاء التفاوت فهـو الظلم بعينه والامر الذى ينافى الطبيعة ٠ والطبيعة تقوم

كلها على أساس التفاضل والتفاوت والتنوع في ثمار الارض وفي البهائم وفي الناس ٠

في القطن نجد طويل التيلة وقصير التيلة وجيزة ٧ وسكلاريدس وفولى جود فير ٠٠ في البلح نجد الزغلول والسماني والحياني ٠٠ وفي العنب نجد البناتي والفيومى والازمرلي ٠

وفي الحيوان والانسان نجد الرتب والدرجات والتفاوت أكثر ٠

هذا هو قانون الوجود كله ٠٠ التفاضل

وحكمة هذا القانون واضحة ٠٠ فلو كان جميع الناس يولدون بخلقة واحدة وقالب واحد ٠٠ ونسخة واحدة ٠٠ لما كان هناك داع لميلادهم أصلا ٠٠ وكان يكفى أن نأتى نسخة واحدة فتغنى عن الكل ٠٠ وكذلك الحال في كل شيء ٠٠ ولانتهى الامر الا فقر الطبيعة وافلاسها ٠

وانما غنى الطبيعة وخصبها لا يظهر الا بالتنويع في ثمارها وغلاتها والتفاوت في ثمارها ٠

ومع ذلك فالدين لم يسكت على هذا التفاوت بين الاغنياء والفقراء بل أمر بتصحيح الاوضاع وجعل للفقير نصيبا في مال الغنى ٠٠ وقال ان هذا التفاوت فتنة وامتحان ٠

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) ٢٠ ـ الفرقان

سوف نرى ماذا يفعل القوى بقوته ٠ هل ينجد بها الضعفاء أم يضرب ويقتل ويكون جبارا في الارض ٠٠ وسوف نرى ماذا يفعل الغنى بغناه ٠٠ هل يطغى ويسرف ٠٠ أم يعطف ويحسن وسوف نرى ماذا يفعل الفقير بفقره ٠٠ هل يحسد ويحقد ويسرق ويختلس ٠٠ أم يعمل ويكد ويجتهد ليرفع مستوى معيشته بالشرع والعدل ٠

وقد أمر الدين بالعدل وبتصحيح الاوضاع وبالمساواة بين الفرص ٠٠ وهدد بعذاب الآخرة ، وقال بأن الآخرة ستكون أيضا درجات أكثر تفاوتا لتصحح ما لم يجر تصحيحه في الارض ٠

(وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ٢١ ــ الاسراء

وللذين يتهمون الاســـلام بالرجعية السياسية نقول ان الاسلام أتى بأكثر الشرائع تقدمية فى نظم الحكم ٠

احترام الفرد فى الاســـلام بلغ الذروة ٠٠ وسبق ميثاق حقوق الانسان وتفوق عليه ٠٠ فماذا يساوى الفرد الواحد فى الاسلام انه يساوى الانسانية كلها ٠

(من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل النـــاس جميعا ومن أحيـاها فكانما احيـــا الناس جميعا)

٣٢ ــ المائدة

لا تغنى المنجزات ولا الاصـــــلاحات المـــادية ولا التعمير ولا السدود ولا المصانع ٠٠ اذا قتل الحاكم فردا واحــدا ظلما فى سبيل هذا الاصلاح ، فانه يكون قد قتل الناس جميعا ٠

ذروة فى احترام الفرد لم يصل اليها مذهب سياسى قديم أو جديد ٠٠ فالفرد فى الاســلام له قيمة مطلقة بينما فى كل المذاهب السياسية له قيمة نسبية ٠٠ والفرد فى الاسلام آمن فى بيته ٠٠ وفى أسراره « لا تجسس ولا غيبة » آمن فى ماله ورزقه وملكيته وحريته ٠

كل شىء حتى التحية حتى افساح المجلس حتى الكلمة الطيبة لها مكان فى القرآن ٠

وقد نهى القرآن عن التجبر والطغيان والانفراد بالحكم ٠

وقال الله للنبى « وهو من هو فى كماله وصلاحياته » ٠

(وما انت عليهم بجبار) ٤٥ ــ ق

(فذكر انما أنت مذكر ٠٠ لست عليهم بمسيطر)

٢١ ــ الغاشية

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ ــ الحجرات

ونهى عن عبادة الحاكم وتأليه العظيم :

(لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ٦٤ ــ آل عمران

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) ٢٣ ــ الاسراء

ونهى عن الغوغائية وتملق الدهماء والســوقة والجرى وراء الاغلبية المضللة وقال أن :

(أكثر الناس لا يعلمون) ٢١ ـ يوسف
(بل أكثرهم لا يعقلون) ٦٣ ـ العنكبوت
(أكثر الناس لا يؤمنون) ٥٩ ـ غافر
(ان يتبعون الا الظن وأن هم الا يخرصون « يكذبون » » ١١٦ ـ الانعام

(ان هم الا كالانعام بل هم اضل) ٤٤ ـ الفرقان
ونهى عن العنصرية والعرقية :
(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ١٣ ـ الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ ـ الاعراف
وبالمعنى العلمى كان الاسلام تركيبا جدليا جامعا بين مادية اليهودية وروحانية المسيحية ، بين العدل الصارم الجاف الذى يقول : السن بالسن والعين بالعين • وبين المحبة والتسامح المتطرف الذى يقول:من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر •
وجاء القرآن وسطا بين التوراة التى حرفت حتى أصبحت كتابا ماديا ليس فيه حرف واحد عن الآخرة ، وبين الانجيل الذى مال الى رهبانية تامة ، ونادى القرآن بناموس الرحمة الجامع بين العدل والمحبة فقال بشرعية الدفاع عن النفس ولكنه فضل العفو والصفح والمغفرة •

(ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ٤٣ ـ الشورى
واذا كانت الرأسمالية أطلقت للفرد حرية الكسب الى درجة استغلال الآخرين •• واذا كانت الشيوعية سحقت هذه الحرية تماما •• فان الاسلام قدم الحل الوسط •

(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) ٣٢ ـ النساء

الفرد حر فى الكسب ولكن ليس له أن يأخذ ثمرة أرباحه كلها •• وانما له فيها نصيب •• وللفقير نصيب يؤخذ زكاة وانفاقا من ٢ر٥ فى المائة الى ٩٠٪ جبرا واختيارا •• وهـذا

النصيب ليس تصدقا وتفضلا وانما هو حق الله فى الربح ..
وبهذه المعادلة الجميلة حفظ الاسلام للفرد حريته وللفقير حقه .
ولهذا أصاب القرآن كل الصواب حينما خاطب أمة الاسلام قائلا :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ١٤٣ ـ البقرة

فقد اختار الاسلام الوسط العدل فى كل شىء .
وهو ليس الوسط الحسابى وانما الوسط الجدلى أو التركيب الذى يجمع النقيضين (اليمين واليسار) ويتجاوزهما ويزيد عليهما ... ولذلك ليس فى الاسلام يمين ويسار وانما فيه « صراط » الاعتدال الوسط الذى نسمية الصراط المستقيم من خرج عنه باليمين أو اليسار فقد انحرف .

ولم يقيدنا القرآن بدستور سياسى محدد أو منهج مفصل للحكم لعلم الله بأن الظروف تتغير بما يقتضى الاجتهاد فى وضع دساتير متغيرة فى الازمنة المتغيرة ، وحتى يكون الباب مفتوحا أمام المسلمين للاخذ والعطاء من المعارف المتاحة فى كل عصر دون انغلاق على دستور بعينه .

ولهذا اكتفى القرآن بهذه التوصيات السياسية العامة السالفة كخصائص للحكم الامثل .. ولم يكبلنا بنظرية وهذا سر من أسرار اعجازه وتفوقه وليس فقرا ولا نقصا فيه .

وتلك لمسة أخرى من تقدمية القرآن التى سبقت كل التقدميات .

ونرد على القائلين بأن الدين جمود وتحجر .. بأن الاسلام لم يكن أبدا دين تجمد وتحجر وانما كان دائما وأبدا دين نظر وفكر وتطوير وتغيير بدليل آياته الصريحة .

(قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) ٢٠ ـ العنكبوت

(فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق .. يخرج من بين الصلب والترائب) ٧ ـ الطارق

(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت

والى الجبـــال كيف نصـــبت والى الارض كيف سـطحت)
١٩ ـ الغاشية

أوامر صريحة بالنظر فى خلق الانسان وفى خلق الحيـوان وفى خلق الجبال وفى طبقات الارض وفى السماء وأفلاكها ٠٠ وهى نظرات تضم كل ما نعنيه الآن بعلم الجيولوجيا والفلك والتشريح والفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجنة ٠

أوامر صريحة بالسير فى الارض وجمع الشواهد واستنباط الاحكام والقوانين ومعرفة كيف بدأ الخلق ٠٠ وهـو ما نعرفه الآن بعلوم التطور ٠

ولا خوف من الخطأ ٠

فالاســلام يكافىء الذى يجتهد ويخطىء بأجر والذى يجتهد ويصيب بأجرين ٠

وليس صحيحا ما يقال من أنناتخلفنا بالدين وتقدم الغرب بالالحاد ٠٠ والحق أننـــا تخلفنا حينما هجرنا أوامر ديننا ٠ وحينما كان المسلمون يأتمرون بهذه الآيات حقا كان هنـــاك تقدم وكانت هنـاك دولة من المحيـــط الى الخليج وعلماء مثل ابن سينا فى الطب وابن رشـــد فى الفلسفة وابن الهيثم فى الرياضـيات وابن النفيس فى التشريح وجابر بن حيـــان فى الكيمياء ٠

وكانت الدنيـا تأخـــذ عنا علومنا ٠٠ وما زالت مجمعات النجوم وأبراجها تحتفظ الى الآن بأسمائها العربية فى المعاجم الاوروبيـــة ٠٠ وما زالوا يســمون جهاز التقطير بالفرنســية ìmbique ومنـــه الفعل imbiquer من كلمة أمبيق العربية ٠

ولم يتقدم الغرب بالالحاد بل بالعلم ٠

وانما وقع الخلط مما حدث فى العصور الوسطى من طغيان الكنيسة ومحاكم التفتيش وحجرها على العلم والعلماء وما حدث من سجن غاليليو وحرق جيوردانو برونو ٠

حينما حكمت الكنيســة وانحرف بها البابوات عن أهدافها النبيلة فكانت عنصر تأخر ٠٠ فتصـور النقاد السطحيون ان

هذا ينسحب أيضا على الاسلام وهــو خطأ ٠٠ فالاسلام ليس فيه بابوية ولا كهنوت ٠٠ والله لم يقم بينه وبين المســـلمين أوصياء ولا وسطاء ٠

وحينما حــكم الاسلام بالفعل كان عنصر تقدم كمـا شرحنا وكما يقول التاريخ مكذبا هذه المزاعم السطحية ٠

وآيات القرآن الصريحة تحض على العـــلم وتأمر بالعـــلم ولا تقيم بين العلم والدين أى تناقض :

(وقل رب زدني علما) ١١٤ ــ طه

(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ٩ ــ الزمر

(شـــهد الله أنه لا اله الا هـــو والملائكة وأولو العـــلم) ١٨ ــ آل عمران

جعل الله الملائكة وأولى العلم فى الآية مقترنين بشرف اسمه ونســـبته ٠

وأول آية فى القرآن وأول كلمــة كانت « اقرأ » والعلمـاء فى القرآن موعودون بأرفع الدرجات :

(يرفع الله الذين آمنوا منـكم والذين أوتوا العلم درجات) ١١ ــ المجادلة

وتتكرر كلمـــة العـــلم ومشـــتقاته فى القرآن نحـوا من ثمانمائة وخمسين مرة ٠

فكيف ينكلم بعد هذا متكلم عن تناقض بين الدين والعـلم أو حجر من الدين على العلم ٠

والنظر فى الدين وتطوير فهمه مطلوب ، وتاريخ الاســلام كله حركات احياء وتطوير ٠٠ والقرآن برىء من تهمة التحجير على الناس وكل شىء في ديننا يقبل التطوير ٠٠ ما عدا جوهر العقيدة وصلب الشريعة ٠٠ لان الله واحد ولن يتطور الى اثنين أو ثلاثة ٠٠ هذا أمر مطلق ٠٠ وكذلك الشر شر والخير خير ٠٠ لن يصبح القتل فضيلة ولا السرقة حســـنة ولا الكذب حلية يتحلى بها الصالحون ٠

وفيما عدا ذلك فالدين مفتوح للفكر والاجتهاد والاضافة والتطوير ٠

وجوهر الاسلام عقلانى منطقى يقبل الجدل والحوار ويحض على استخدام العقل والمنطق ٠

وفى أكثر من مكان وفى أكثر من صفحة فى القرآن نعثر على التساؤل ٠٠ « أفلا يعقلون » ٠٠ « أفلا يفقهون » ٠

واهل الدين عندنا هم « أولو الالباب » ٠

(شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ٢٢ ـ الانفال

(افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها) ٤٦ ـ الحج

احترام العقل فى لب وصميم الديانة ٠
والايجابية عصبها والثورة روحها ٠
لم يكن الاسلام أبدا خانعا ولا سلبيا ٠

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) ١٩٠ ـ البقرة

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ٤ ـ الصف

والجهاد بالنفس والمال والاولاد ٠٠ والقتال والثبات وعدم النكوص على الاعقاب ، ومواجهة اليأس والمصابرة والمرابطة فى صلب ديننا ٠

فكيف يمكن لدين بهذه المرونة والعقلانية والعلمية والايجابية والثورة أن يتهم بالتحجر والجمود الا من صديق عزيز مثل الدكتور القادم من فرنسا لا يعرف من أوليات دينه شيئا ولم يقرأ فى قرآنه حرفا ٠



• وحكاية الإسلام مع المـــرأة؟

قال صديقى الدكتور :

ـ الا توافقنى أن الاسلام كان موقفه رجعيا من المرأة ؟

وبدأ يعد على أصابعه

ـ حكاية تعدد الزوجات وبقاء المرأة فى البيت .. والحجاب والطلاق فى يد الرجل .. والضرب والهجر فى المضاجع .. وحكاية ما ملكت أيمانكم ، وحكاية الرجال قوامون على النساء ونصيب الرجل المضاعف فى الميراث •

قلت له وأنا أستجمع نفسى :

التهم هذه المرة كثيرة .. والكلام فيها يطول .. ولنبدأ من البداية ... من قبل الاسلام .. وأظنك تعرف تماما أن الاسلام جاء على جاهلية ، والبنت التى تولد نصيبها الوأد والدفن فى الرمل ، والرجل يتزوج العشرة والعشرين ويكره جواريه على البغاء ويقبض الثمن .. فكان ما جاء به الاســـلام من اباحة الزواج بأربع تقييدا وليس تعديدا .. وكان انقاذا للمرأة من العار والموت والاستعباد والمذلة •

وهل المرأة الآن فى أوربا أسعد حالا فى الانحلال الشـــائع هناك وتعدد العشيقات الذى أصبح واقع الامر فى أغلب الزيجات

أليس أكرم للمرأة أن تكون زوجة ثانيـــة لمن تحب .. لها كافة حقـوق الزوجة واحترامها من أن تكون عشـيقة فى السر تختلس المتعة من وراء الجدران .

ومع ذلك فالاسلام جعل من التعدد اباحة شبه معطلة وذلك بأن شرط شرطا صنعب التحقيق وهو العدل بين النساء .

(وان خفتم الا تعدلوا فواحـــدة) .. (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ١٢٩ ـ النساء

فنفى قدرة العدل حتى عن الحريص فلم يبق الا من هو أكثر من حريص كالانبياء والاولياء ومن فى دربهم .

أما البقاء فى البيوت فهو أمر وارد لزوجات النبى باعتبارهن مثلا عليا .

(وقرن فى بيوتكن) ٣٣ ـ الاحزاب

وهى اشـــارة الى أن الوضـع الامثل للمرأة هى أن تكون أما وربة بيت تفرغ لبيتها ولأولادها .

ويمكن أن نتصور حال أمة نساؤها فى الشوارع والمكاتب وأطفالها فى دور الحضـــانة والملاجىء .. أتكون أحسن حالا أو أمة النساء فيها أمهات وربات بيوت والاطفال فيها يتربون فى حضانة أمهاتهم والاسرة فيها متكاملة الخدمات .

الرد واضح .

ومع ذلك فالاسلام لم يمنع المقتضيات التى تدعو الى خروج المرأة وعملها .. وقد كانت فى الاسلام فقيهات وشاعرات .. وكانت النساء يخرجن فى الحروب .. ويخرجن للعلم .

انما توجهت الآية الى نساء النبى كمثل عليا ، وبين المثال والممكن والواقع درجات متعددة .

وقد خرجت نساء النبى مع النبى فى غزواته .

وينسحب على هذا أن الخروج لمعونة الزوج فى كفاح شريف هو أمر لا غبار عليـه .

أما الحجاب فهو لصالح المرأة .

وقد أباح الاسـلام كشف الوجه واليدين وأمر بسـتر ما عدا ذلك ٠

ومعلوم أن الممنوع مرغوب وان ستر مواطن الفتنة يزيدها جاذبية ٠

وبين القبائل البدائية وبسبب العرى الكامل يفتر الشـوق تماما وينتهى الفضول ونرى الرجل لا يخالط زوجته الا مرة فى الشهر واذا حملت قاطعها سنتين ٠

وعلى الشواطىء فى الصـيف حينما يتراكم اللحم العارى المباح للعيـون يفقد الجسم العريان جاذبيته وطرافتـه وفتنته ويصبح أمرا عاديا لا يثير الفضول ٠

ولا شك أنه من صـالح المرأة أن تكون مرغوبة أكثر والا تتحول الى شيء عادى لا يثير ٠

أما حـق الرجل فى الطلاق فيقابله حق المرأة أيضـا على الطرف الآخر فيمكن للمرأة أن تطلب الطلاق بالمحكمة وتحصل عليه اذا أبدت المبررات الكافية ٠

ويمكن للمرأة أن تشترط الاحتفاظ بعصمتها عند العقد ٠٠ وبذلك يكون لها حق الرجل فى الطلاق ٠

والاسلام يعطي الزوجة حقوقا لا تحصل عليها الزوجة فى أوروبا ــ فالزوجة عندنا تأخذ مهرا ٠٠ وعندهم تدفع دوطة ٠٠ والزوجة عندنا لها حق التصرف فى أملاكها ٠٠ وعندهم تفقد هذا الحق بمجرد الزواج ويصبح الزوج هو القيم على أملاكها ٠

أما الضرب والهجر فى المضـاجع فهو معاملة المرأة الناشز فقط ٠٠ أما المرأة السوية فلها عند الرجل المودة والرحمة ٠

والضرب والهجر فى المضاجع من معجزات القرآن فى فهم النشوز ٠٠ وهو يتفق مع أحدث ما وصل اليـه علم النفس العصرى فى فهم المسلك المرضى للمرأة ٠

وكما نعلم يقسم علم النفس هذا المسلك المرضى الى نوعين ــ « المسلك الخضوعي » وهو ما يسمى فى الاصطلاح العـلمى « ماسوشزم » masochism وهو تلك الحالة المرضـية التى

تلتذ فيها المرأة بأن تضرب وتعذب وتكون الطرف الخاضع والنوع الثاني هو « المسلك التحكمي » وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي « سادزم » sadism وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم وتسيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الاذى بالغير . ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها الذى تتحكم به ، وسلاح المرأة أنوثتها وذلك بهجرها في المضجع فلا يعود لها سلاح تتحكم به .. أما المرأة الاخرى التي لا تجد لذتها الا في الخضوع والضرب فان الضرب لها علاج .. ومن هنا كانت كلمة القرآن .

(**واهجروهن في المضاجع واضربوهن**) ٣٤ ـ النساء

اعجازا علميا وتلخيصا في كلمتين لكل ما أتى به علم النفس في مجلدات عن المرأة الناشز وعلاجها .

أما حكاية « ما ملكت أيمانكم » التي أشار اليها السائل فانها تجرنا الى قضية الرق في الاسلام .. واتهام المستشرقين للاسلام بأنه دعا الى الرق .. والحقيقة أن الاسلام لم يدع الى الرق .. بل كان الدين الوحيد الذى دعا الى تصفية الرق .

ولو قرأنا الانجيل .. وما قاله بولس الرسول في رسائله الى أهل افسس وما أوصى به العبيد لوجدناه يدعو العبيد دعوة صريحة الى طاعة سادتهم كما الرب .

« أيها العبيد .. أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما الرب » ..

ولم يأمر الانجيل بتصفية الرق كنظام وانما أقصى ما طالب به كان الأمر بالمحبة وحسن المعاملة بين العبيد وسادتهم .

وفي التوراة المتداولة كان نصيب الاحرار أسوأ من نصيب العبيد .. ومن وصايا التوراة أن البلد التي تستسلم بلا حرب يكون حظ أهلها أن يساقوا رقيقا وأسارى والتي تدافع عن نفسها بالسيف ثم تستسلم يعرض أهلها على السلاح ويقتل شيوخها وشبابها ونساؤها وأطفالها ويذبحوا تذبيحا .

كان الاسترقاق اذن حقيقة ثابتة قبل مجيء الاسلام وكانت الاديان السابقة توصي بولاء العبد لسيده .

فنزل القرآن ليكون أول كتـاب سـماوى يتـكلم عن فك الرقاب وعتق الرقاب .

ولم يحرم القرآن الرق بالنص الصريح.. ولم يأمر بتسريح الرقيق .. لان تسريحهم فجأة وبأمر قـرآنى فى ذلك الوقت وهم مئات الآلاف بدون صـناعة وبدون عمل اجتماعى وبدون توظيف يستوعبهم كان معناه كارثة اجتماعيـة وكان معنـاه خروج مئات الالوف من الشـحاذين فى الطرقات يسـتجدون الناس ويمارسون السرقة والدعارة ليجدوا للقمة .وهو أمر أسوأ من الرق ، فكان الحل القرآنى هـو قفل باب الرق ثم تصفية الموجود منه .. وكان مصدر الرق فى ذلك العصر هو استرقاق الاسرى فى الحروب فأمر القرآن بأن يطلق الاسير أو تؤخذ فيه فدية وبأن لا يؤخذ الاسرى أرقاء .

(فاما منا بعد .. واما فداء) ٤ ـ محمد

فاما أن تمن على الاسير فتطلقه لوجه الله .. واما تأخـذ فيـه فدية .

اما الرقيق الموجود بالفعل فتكون تصفيته بالتدرج وذلك بجعل فك الرقاب وعتق الرقاب كفارة الذنوب صغيرها وكبيرها وبهذا ينتهى الرق بالتدريج .

والى أن تأتى تلك النهاية فماذا تكون معاملة السيد لما ملكت يمينه .. أباح له الاسلام أن يعاشرها كزوجته .

وهذه حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل ولا شك أن معاشرة المرأة الرقيق كالزوجة كان فى تلك الايام تكريما لا اهانة .

وينبغى ألا ننسى موقف الاسـلام من العبد الرقيق وكيف جعل منه أخا بعد أن كان عبدا يداس بالقدم .

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ ـ الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ ـ الاعراف

(لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) ٦٤ ـ آل عمران

وقد ضرب محمد عليه الصلاة والسلام المثل حينما تبنى عبدا رقيقا هو زيد بن حارثة فأعتقه وجعل منه ابنه ٠٠ ثم زوجه من الحرة سليلة البيت الشريف زينب بنت جحش ٠

كل هذا ليكسر هذه العنجهية والعصبية ٠٠ وليجعل من تحرير العبيد موقفا يقتدى به ٠٠ وليقول بالفعل وبالمثال أن رسالته هي عتق الرقاب ٠

أما أن الرجال قوامون على النساء فهى حقيقة فى كل مكان فى البلاد الاسلامية ٠ وفى البلاد المسيحية ٠ وفى البلاد التى لا تعرف الها ولا دينا ٠

فى موسكو الملحدة الحكام رجال من أيام لينين وستالين وخروشوف وبولجانين الى اليوم ، وفى فرنسا الحكام رجال،وفى لندن الحكام رجال ، وفى كل مكان من الارض الرجال هم الذين يحكمون ويشرعون ويخترعون ، وجميع الانبياء كانوا رجالا ، وجميع الفلاسفة كانوا رجالا ، حتى الملحنين « مع أن التلحين صنعة خيال لا يحتاج الى عضلات » رجال ، وكما يقول العقاد ساخرا : حتى صنعة الطهى والحياكة والموضة وهى تخصصات نسائية تفوق فيها الرجال ثم انفردوا بها ٠

وهى ظواهر لا دخل للشريعة الاسلامية فيها ٠٠ فهى ظواهر عامة فى كل بقاع الدنيا حيث لا تحكم شريعة اسلامية ولا يحكم قرآن ٠

انما هى حقائق ٠٠ ان الرجل قوام على المرأة بحكم الطبيعة واللياقة والحاكمية التى خصه بها الخالق ٠

واذا ظهرت وزيرة أو زعيمة أو حاكمة فانها تكون الطرافة التى تروى أخبارها والاستثناء الذى يؤكد القاعدة ٠

والاسلام لم يفعل أكثر من أنه سجل هذه القاعدة وهذا يفسر لنا بعد ذلك لماذا أعطى القرآن الرجل ضعف النصيب فى الميراث ٠٠ لانه هو الذى ينفق ولانه هو الذى يعول ٠٠ ولانه هو الذى يعمل ٠

كان موقف الاسلام من المرأة هو العدل ·
وكانت سيرة النبى مع نسائه هى المحبة والحدب والحنان :·
ألم يؤثر عنـه قوله :
« حبب الى من دنياكم النســـاء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصــلاة » ·

فذكر النساء مع الطيب والعطر والصلاة وهذا غاية الاعزاز، وكان آخر ما قاله فى آخر خطبة له قبل موته هـــو التوصية بالنســـاء ·

واذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع فلانه عهد الى الرجل أمانة التعمير والبناء والانشـــاء بينما عهد الى المرأة أمانة أكبر وأعظم هى تنشئة الانسان نفسه ·

وانه من الاعظام لشأن المرأة أن تؤتمن على هذه الامانة ·
فهل ظلم الاســلام النســاء ؟!!



● الـــروح

قال صديقى الدكتور وهـــو يعلم هـــذه المرة أن الاشكال سـيكون عسـيرا ٠

ـ ما دليلك على أن الانسان له روح وأنه يبعث بعد موت وأنه ليس مجرد الجسد الذى ينتهى الى تراب ٠٠ وماذا يقول دينـكم فى تحضير الارواح ؟

قلت بعد برهة تفكير :

ـ لا شك أن السؤال اليوم صعب والكلام عن الروح ضرب فى تيه والحقائق الموجودة قليلة ولكنها مع ذلك فى صفنا نحن وليست فى صفكم ٠

ومضت برهة أغرقت فيها فى التفكير ثم قلت مردفا :

ـ فكر معى قليـلا ٠٠ ان أول المؤشرات التى تساعدنا على التدليل على وجود الروح ٠٠ أن الانسان ذو طبيعة مزدوجة ٠

الانسان له طبيعتان :

طبيعة خارجيـــة ظاهرة مشهودة هى جسده تتصف بكل صفات المادة ، فهى قابلة للوزن والقيـاس متحيزة فى المكان متزمنة بالزمان دائمة التغير والحركة والصيرورة من حال الى حال ومن لحظة الى لحظة فالجسد تتداول عليه الاحوال من صحة

الى مرض الى سمنة الى هزال الى تورد الى شحوب الى نشاط الى كسل الى نوم الى يقظة الى جوع الى شبع ، وملحق بهـــذه الطبيعة الجســـدية شريط من الانفعالات والعواطف والغرائز والمخاوف لا يكف لحظة عن الجريان فى الدماغ ٠

ولان هـذه الطبيعة والانفعالات الملحقة بها تتصف بخواص المادة نقول ان جسد الانسان ونفسه الحيوانية هما من المادة ٠

ولكن هنـاك طبيعة أخرى مخالفة تماما للاولى ومغايرة لها فى داخل الانسان ٠

طبيعة من نوع آخر تتصف بالسكون واللازمان واللامكان والديمومة ٠٠ هى العقل بمعاييره الثابتة وأقيسته ومقولاته ٠٠ والضمير بأحكامه ، والحس الجمالى وال أنا التى تحمل كل تلك الصفات « من عقل وضمير وحس جمالى وحس أخلاقى » ٠

وال أنا غير الجسد تماما وغير النفس الحيوانية التى تلتهب بالجوع والشـبق ٠

ال أنا هى الذات العميقة المطلقة وعن طريق هـــذه الذات العميقة يشعر الانســـان بذلك الشـعور العميق بالحضـــور والكينونة والشخوص والمثول فى العالم ٠٠ وبأنه هنا وبأنه كان دائما هنا ٠٠ وهو شعور ثابت ممتد لا يطرأ عليه التغير لا يسمن ولا يهزل ولا يمرض ولا يتصف بالزمان ٠٠ وليس فيـــه ماض وحاضر ومستقبل ٠٠ انما هو « آن » مســـتمر لا ينصرم كما ينصرم الماضى ٠٠ وانما يتمثل فى شعور بالدوام ٠٠ بالديمومة ٠

هنا نوع آخر من الوجود لا يتصف بصفات المادة فلا هـو يطرأ عليـه التغير ولا هـو يتحيز فى المكان أو يتزمن بالزمان ولا هو يقبل الوزن والقياس ٠٠ بالعكس نجد أن هذا الوجود هو الثـابت الذى نقيس به المتغيرات والمطلق الذى نعـرف به كل ما هو نسبى فى عالم المادة ٠

وأصدق ما نصف به هـذا الوجود انه روحى وأن طبيعته روحيـــة ٠

ولنا أن نسأل بعد ذلك .
أى الطبيعتين هى الانسان حقا .
هل الانسان بالحقيقة هو جسده أو روحه .
ولنعرف الجواب علينا أن نبحث أى الطبيعتين هى الحاكمة على الاخرى .

يقول لنا الماديون أن الانسان هو جسده ، وأن الجسد هو الحاكم وأن كل ما ذكرت من عقل ومنطق وحس جمالى وحس أخلاقى وضمير وهذه « التخريفة » التى اسمها الذات أو ال أنا كل هذا ملحق بالجسد ثانوى عليه تابع له يأتمر بأمره ويقوم على خدمته ويتولى اشباع شهواته وأهوائه .

هذا كلام اخواننا الماديين وهو خطأ ، فالحقيقة أن الجسد تابع وليس متبوعا مأمور وليس آمرا ألا يجوع الجسد فنرفض امداده بالطعام لاننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله ..ألا يتحرك بشهوة فنزجره ؟!

ألا نصحو فى الصباح فيبدأ الجسد تلقائيا فى تنفيذ خطة عمل وضعها العقل وصنف بنودها بندا بندا .. من ساعة الى ساعة .. من التابع هنا ومن المتبوع ؟

ولحظة التضحية بالنفس حينما يضع الفدائى حزام الديناميت حول جسده ويتقدم ليحطم الدبابة ومن فيها .. أين جسده هنا .. أين المصلحة المادية التى يحققها بموته .. ومن الذى يأمر الآخر .. ان الروح تقرر اعدام الجسد فى لحظة مثالية تماما لا يمكن أن يفسرها مذهب مادى بأى مكسب مادى والجسد لا يستطيع أن يقاوم هذا الامر .. ولا يملك أى قوة لمواجهته ، لا يملك الا أن يتلاشى تماما .. وهنا يظهر أى الوجودين هو الاعلى .. وأى الطبيعتين هى الانسان حقا .

وعندنا اليوم أكثر من دليل على أن الجسد هو الوجود الثانوى .. ما يجرى الآن من حوادث البتر والاستبدال وزرع الاعضاء .. وما نقرؤه عن القلب الالكترونى والكلية الصناعية وبنك الدم وبنك العيون ومخازن الاكسسوار البشرى حيث

يجرى تركيب السيقان والاذرع والقلوب ٠

ولن تكون نكتة أن يدخل العريس على عروسه سنة ٢٠٠٠ فيجدها تخلع طقم الاسنان والباروكة والنهود الكاوتشوك والعين الصناعية والساق الخشبية فلا يتبقى منها الا هيكل مثل شاسيه السيارة بعد نزع الجلد والكراسى والابواب ٠

الى هذه الدرجة يجرى فك الجسم وتركيبه واستبداله دون أن يحدث شيء للشخصية لان هذه الذراع أو تلك الساق أو ذلك الشعر أو العين أو النهد كل هذه الاشياء ليست هى الانسان ٠٠ فها هى تنقل وتستبدل وتوضع مكانها بطاريات ومسامير وقطع من الالمونيوم دون أن يحدث شيء ٠٠ فالانسان ليس هذه الاعضاء وانما هو الروح الجالسة على عجلة القيادة لتدير هذه الماكينة التى اسمها الجسد ٠

انها الادارة التى يمثلها مجلس ادارة من خلايا المخ ٠٠ ولكنها ليست المخ ٠

فالمخ مثله مثل خلايا الجسد يصدع بالاوامر التى تصدر اليه ويعبر عنها ولكنه فى النهاية ليس أكثر من قفاز لها ٠٠ قفاز تلبسه هذه اليد الخفية التى اسمها الروح وتتصرف به فى العالم المادى ٠

نفهم من هذه الشواهد كلها أن الانسان له طبيعتان :

طبيعة جوهرية حاكمة هى روحه

وطبيعة ثانوية زائلة هى جسده ٠

وما يحدث بالموت أن الطبيعة الزائلة تلتحق بالزوال والطبيعة الخالدة تلتحق بالخلود فيلتحق الجسد بالتراب وتلتحق الروح بعالمها الباقى ٠

ولعشاق الفلسفة نقدم دليلا آخر على وجود الروح من الخاصية التى تتميز بها الحركة ٠

فالحركة لا يمكن رصدها الا من خارجها ٠

لا يمكن أن تدرك الحركة وأنت تتحرك معها فى نفس الفلك وانما لابد من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها ٠٠ ولهذا

تاتى عليك لحظة وأنت فى أســـانسير متحرك لا تستطيع ان تعرف هل هو واقف أم متحرك لانك أصبحت قطعة واحـــدة معه فى حركته ٠٠ لا تستطيع ادراك هذه الحركة الا اذا نظرت من باب الاسانسير الى الرصيف الثابت فى الخارج ٠
ونفس الحالة فى قطار يسير بنعومة على القضبان ٠٠ لاتدرك حركة مثل هذا القطار وأنت فيــه الا لحظة شروعه فى الوقوف أو لحظة اطلالك من النافذة على الرصيف الثابت فى الخارج ٠
وبالمثل لا يمكنك رصد الشـمس وأنت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر أو الارض ٠٠ كما لا يمكنك رصـــد الارض وأنت تسكن عليها وانما تستطيع رصدها من القمر ٠
لا تستطيع أن تحيط بحالة الا اذا خرجت خارجها ٠
ولهذا ما كنا لنســـتطيع ادراك مرور الزمن لولا أن الجزء المدرك فينا يقف على عتبة منفصلة وخارجة عن هـــذا المرور الزمنى المستمر « أى على عتبة خلود » ٠
ولو كان ادراكنا يقفز مـع عقرب الثوانى كل لحظـة لـمــا استطعنا أن ندرك هذه الثوانى أبدا ٠ ولانصرم ادراكنا كمـــا تنصرم الثوانى بدون أن يلاحظ شيئا ٠
وهى نتيجة مذهلة تعنى ان هنـاك جزءا من وجودنا خارجا عن اطار المرور الزمنى « أى خالد » هو الذى يلاحظ الزمن من عتبة ســـكون ويدركه دون أن يتورط فيـــه ولهذا لا يكبر ولا يشـيخ ولا يهرم ولا ينصرم ٠٠ ويوم يسقط الجسد ترابا سوف يظل هذا الجزء على حاله حيا حياته الخاصة غير الزمنية هذا الجزء هو الروح ٠
وكل منا يستطيع أن يحس بداخله هـــذا الوجود الروحى على صورة حضــور وديمومة وشخوص وكينونة مغايرة تماما للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه ٠
هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطنى والتى أسميتها حالة حضـــور ٠٠ هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحى بداخلنا ويضع يدنا على هذا اللغز الذى اسمه الروح ٠٠٠
ودليل آآخر على طبيعتنا الروحية هو شعورنا الفطرى بالحرية ،

ولو كنا أجساما مادية ضمن اطار حياة مادية تحكمنا القوانين المادية الحتمية لما كان هناك معنى لهذا الشعور الفطرى بالحرية.

لنـــا روح اذن تعـــلو على الزمن وتتخطى الموت وتتخطى الحتميات المادية .

ماذا عن البعث اذن .

لم يعد أحد بعد الموت ليخبرنا ماذا جرى له .

ولم يأت يوم البعث لنقدم دليلا ملموسا وشاهد عيان .

وكل ما يمكن قوله في موضـــوع البعث أنه حقيقة دينية يرجحها العقل والعلم .

لماذا يرجحها العقل والعلم ؟

لان شواهد الوجود وظواهره تشير جميعها الى أن هنـــاك عودا على بدء ودورة لكل شيء .. بعد النهار يأتى الليل ثم يعود من جديد فيأتى النهار ، الشـــمس تشرق ثم تغرب ثم تعود فتشرق .

الصيف والخريف والشتاء والربيع ثم تعود فتتكرر الدورة من جديد فيأتى الصيف ثم الخريف ثم الشـــتاء الخ .. بعد اليقظة ونوم الليل نعود فنستيقظ من جديد .. وهـــذا يرجح أنه بعد رقود الموت هناك صحوة بعث .. لان هناك عودا لكل شيء .. والله يسمى نفسه فى القرآن المبدىء والمعيد .

(**كما بداكم تعودون**) ٢٩ ـ الاعراف

(**يبدأ الخلق ثم يعيده**) ٤ ـ يونس

الا يدور كل شيء فى فلك من الذرة الى المجرة،حتى الحضارات لها دورات والتاريخ له دورات .

هذا العود الابدى فى كل شيء يرجح البعث .

الدليل الآخر على البعث هو النـظام المحـكم الذى ليس فيه بادرة خلل واحدة من أكبر المجرات حتى أصغر الذرات حتى الالكترون الذى لا يرى نجد النـــظام والقانون يهيمن على كل شيء .. حتى الالكترون المتناهى فى الصـــغر لا يستطيع أن ينتقل من فلك الى فلك فى الذرة الا اذا أعطى أو أخذ مقدارا من الطاقة يســاوى حركته .. وكانه راكب قطار لا يستطيع

السفر الى أى مكان بدون تذكرة .. فكيف نتصور فى هذا النظام المحكم أن يهرب قاتل أو يفر ظالم من الجزاء لمجرد أنه ضلل البوليس ، ان العقل يتصور انه لابد سيلقى جزاءه حتما، وان هناك لابد عالما آخر يسوى فيه الحساب .. هكذا يقول العدل.

ونحن مفطورون على تحرى العدل وعلى حب العدل والبحث عن العدل ومحاولة تحقيق العدل .

ومع ذلك فالعدل فى الدنيا غير موجود .

وكما يقول أهل الفكر اذا كان الظمأ الى الماء يدل على وجود الماء .. فلابد أن الظمأ الى العدل يدل على وجود العدل .. فان لم يكن موجودا فى دنيانا فلابد أن له يوما وساعة تنصب فيها موازينه .

كل هذه مؤشرات تشير وترجح أن هناك بعثا وحسابا وعالما آخر .

والمؤمن الذى يصدق القرآن فى غير حاجة الى هذه الاستدلالات لانه آمن بقلبه وأراح نفسه من الجدل .

يبقى بعد ذلك أن نسأل .. وما الروح .

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ٨٥ ــ الاسراء

هى لغز ولا أحد يعلم عنها شيئا .

والعجيب انه كلما جاء ذكر الروح فى القرآن ذكرت معها كلمة من أمر ربى .

(يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) ١٥ ــ غافر

(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) ٢ ــ النحل

(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) ٤ ــ القدر

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) ٥٢ ــ الشورى

دائما كلمة « من أمرنا » .. « من أمره » .. « من أمر ربى » كلما ذكرت الروح .

أيكون أمر الله روحا ؟

وكلمة الله روحا ؟
ألم يقل الله عن المسيح عليه السلام انه :
(كلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) ٤٥ ـ آل عمران
وانه :
(كلمته القاها الى مريم وروح منه) ١٧١ ـ النساء
الكلمة ٠٠ الامر ٠٠ الروح ٠٠ هل هى الفاظ مترادفة لمعنى واحد ؟
هى مجرد اشارات ٠
ولا أحد يعلم الحقيقة الا العليم ٠
يبقى بعد ذلك سؤالك عن تحضير الارواح ٠
وتحضير الارواح عندنا أمر مشكوك فيه ٠
مشكوك فيه إن ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور روح فلان أو علان ٠
ومفكر كبير مثل هنرى سودر يقول : ان تلك الظواهر مصدرها العقل الباطن للوسيط والقوى الروحية للوسيط ذاته ٠٠ ولا شىء يحضر بالمرة ٠
ويقول المفكرون الهنود : ان الذى يتلبس الوسيط أثناء التحضير هى أرواح سفلية تعرف بعض الاشياء عن الموتى وتستخدمها فى السخرية بعقول الموجودين والضحك عليهم ٠
ويقول الصوفية المسلمون ان الذى يحضر فى تلك الجلسات ليس الروح ولكن القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت أثناء حياته ٠٠ وهو بحكم هذه الصحبة يعرف أسراره ٠٠ ولان الجن معمر فانه يبقى حيا بعد موت صاحبه ٠٠ وهو الذى يحضر الجلسات ويفشى أسرار صاحبه ويقلد صوته وعاداته ليسخر من الموجودين على عادة الجن فى عدائهم للانسان ٠
وهم يقولون : اننا اذا دققنا جرس المكتب فان الذى يحضر هو الخادم ٠٠ أما السادة فانهم لا يتركون عالمهم ويحضرون بهذه السذاجة وبالمثل فى عالم الارواح ٠٠ فالذى يحضر فى الجلسات ويهرج على الموجودين هى الارواح السفلية والجن ومن فى مستواهم ٠

أما الارواح البشرية فهى فى عالم آخر هـو عالم البرزخ ولا يمكن استحضارها ٠٠ ولكنها قد تتصل بمن تحب فى الحلم أو في اليقظة اذا توفرتّ الظروف الملائمة ٠

ومن الجلسات الكثيرة التى حضرناها ومما جمعنا من خبرة خاصة في هذا الموضوع نقول : انه لا يوجد دليل واحد على أن ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور الروح المطلوبة ٠

وربما كان رأى الصوفية المسلمين أكثر الآراء تفسيرا لما يحدث ٠

والمسألة ما زالت قيد البحث ٠

وللاسف الشعوذات في هذا الموضوع أكثر من الحقائق ٠٠ والكلمة الاخيرة لم تقل بعد ٠

ولا شك أنك سوف تضحك على كلمات مثل الجن والارواح السفلية ٠٠ والقرين ٠

ولك عذرك ٠٠ فاذا كنت لا تؤمن بروحك أنت فكيف يتوقع منك أن تؤمن بجنى ٠٠ واذا كنت لا تؤمن بالله فكيف ينتظر منك أن تؤمن بشياطينه ٠

ومع ذلك لو كنت ولدت منذ مائة سنة وجاءك رجل يحدثك عن أشعة غير منظورة تخرق الحديد ، وصور تنتقل فى الهواء عبر المحيطات في أقل من ثانية ، ورائد فضاء يمشى على تراب القمر ٠٠ ألم تكن تضحك وتقهقه وتستلقى على قفاك أضعاف ما تضحك الآن ٠٠ وتقول لنفسك ٠٠ هـذا رجل هارب من مستشفى المجاذيب ومع ذلك فيا لها من حقائق ملء السمع والبصر الآن ٠



• الضمير

قال صاحبي :

ـ أنتم تتكلمون عن الضمير في تقديس كما لو كان شيئا مطلقا مع انه أحد المصنوعات الاجتماعية ، عملة نحاسية لا أكثر صكت ودمغت وسبكت في فرن التعاملات الاجتماعية وهو عندنا شيء تتغير أحكامه وضوابطه وفق المصالح الجارية والقيمة التي تفيد نقول عنها خيرا والقيمة التي تضر نقول عنها شرا ولو كانت هذه القيمة هي العفة التي تتمسكون بها كعيونكم .

قلت له في هدوء :

ـ نعم .. هذا هو رأى الفلسفة المادية على ما أسمع .. ان الضمير سلطة زجر وردع نبتت من الدواعي الاجتماعية .. مجرد تحصيل خبرة تتفاوت بين شخص وشخص وبين عصر وعصر وبين أمة وأمة ..

هذا كلامكم .

ولكن الحقيقة غير ذلك ..

الحقيقة أن الضمير نور وضعه الله في الفطرة ومؤشر ودليل

وبوصلة نولد بها ‥ تهدينا الى الحقائق وكل دور الاكتساب الاجتماعى انه يجلو مرآة هذه البوصلة ويصقل زجاجها ٠

ولنا على ذلك براهين تؤيدنا وتشجب كلامكم ٠

انظر الى عالم الحيوان حيث لا مجتمع ٠ ترى القطة تتبرز ثم تستدير لتغطى فضلاتها بالتراب ، فى أى مجتمع قططى تعلمت القطة هذا الوازع ؟

وكيف ميزت بين القذارة والنظافة ؟

وأنت ترى القطة تسرق السمكة فاذا ضبطتها وضربتها على رأسها طأطأت ونكست بصرها فى احساس واضح بالذنب ‥

وتراها تلهو مع الاطفال فى البيت فتكسر فازة أثناء اللعب ‥ فماذا يحدث ، انها تجرى فى فزع وتختبىء تحت الكراسى وقد أدركت أنها أخطأت ٠

كل هذه شواهد وملامح ضمير ٠

وليس فى مملكة القطط دواع لنشأة هذه المشاعر ‥ ولا نرى حتى مجتمعا قططيا من الاساس ٠

وتقاليد الوفاء الزوجى فى الحمام ٠

ونبل الحصان فى ارتباطه بصاحبه حتى الموت ٠

وكبرياء الاسد وترفعه عن الهجوم على فريسته من الخلف ٠

وخجل الجمل وتوقفه عن مضاجعة أنثاه اذا وجد أن هناك عينا ترقبه ٠

ثم تلك الحادثة البليغة التى رآها جمهور المشاهدين فى السيرك القومى بالقاهرة ‥ حينما قفز الاسد على المدرب محمد الحلو من الخلف وأنشب مخالبه فى كتفه وأصابه بجرح قاتل ٠

وبقية الحادثة يرويها موظفو السيرك ‥ كيف امتنع الاسد عن الطعام ‥ وحبس نفسه فى زنزانته لا يبرحها ‥ وكيف نقلوه الى حديقة الحيوان وقدموا له أنثى لتروح عنه فضربها وطردها ‥ وظل على صيامه ورفضه للطعام ثم انقض على يده لآثمة وظل يمزقها حتى نزف ومات ٠

حيوان ينتحر ندما وتكفيرا عن جريمته ٠
من أى مجتمع فى دنيا السباع أخذ الاسد هذه التقاليد ٠٠
هل فى مجتمع السباع أن افتراس الانسان جريمة تدعو الى الانتحار ٠
نحن هنا أمام نبل وخلق وضمير لا نجده فى بشر ٠
ونحن أمام فشل كامل للتفسير المادى وللتصور المادى لحقيقة الضمير ٠
ولا تفسير لما نراه سوى ما يقوله الدين ٠٠ من أن الضمير هو نور وضعه الله فى الفطرة وان كل دور الاكتساب الاجتماعى أن يجلو صدأ النفس فتشف عن هذا النور الالهى ٠

وهذا هو ما حدث بين الاسد ومدربه ٠٠ المعاشرة والمحبة والمصاحبة صقلت تلك النفس الحيوانية فأيقظت ذلك القبس الرحمانى ٠٠ فاذا بالاسد يحزن ويندم وينتحر كمدا كالبشر ٠

« الحلال بين والحرام بين » ٠٠ كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام ٠

« استفت قلبك وان أفتاك الناس » ٠
لسنا فى حاجة الى كلية شريعة لنعرف الخطأ من الصواب والحق من الباطل والحرام من الحلال ٠٠ فقد وضع الله فى قلب كل منا كلية شريعة ٠٠ وميزانا لا يخطىء ، وكل ما نحن مطالبون به أن نجلو نفوسنا من غواشى المادة ومن كثافة الشهوات فنبصر ونرى ونعرف ونميز بدون عكاز « الخبرة الاجتماعية » وذلك بنور الله الذى اسمه الضمير ٠
(يا أيها الذين آمنو ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)
٢٩ ـ الانفال
يقول الله فى الحديث القدسى للصوفى محمد بن عبد الجبار :
« كيف تيأس منى وفى قلبك سفيرى ومتحدثى » ٠
الضمير حقيقة ثابتة والقيم الاخلاقية الاساسية هى بالمثل ثابتة فقتل البرىء لن يصبح يوما ما فضيلة وكذا السرقة

والكذب وايذاء الآخرين والفحشاء والفجور والبذاءة والغلظة والقسوة والنفاق والخيانة كل هذه نقائص خلقية ، وسوف تظل هكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها ٠

وكذلك سوف تظل المحبة والرحمة والصدق والحلم والعفو والاحسان فضائل ٠٠ ولن تتحول الى جرائم الا اذا فسدت السموات والارض وساد الجنون وانتهى العقل ٠



• هل مناسك الحج وثنيّة ؟

قال صاحبي وهو يفرك يديه ارتياحا ويبتسم ابتسامة خبيثة تبدى نواجذه وقد لمعت عيناه بذلك البريق الذى يبدو فى وجه الملاكم حينما يتأهب لتوجيه ضربة قاضية .

ـ ألا تلاحظ معى أن مناسك الحج عندكم هى وثنية صريحة . ذلك البناء الحجرى الذى تسمونه الكعبة وتتمسحون به وتطوفون حوله ، ورجم الشيطان .. والهرولة بين الصفا والمروة ، وتقبيل الحجر الاسود .. وحكاية السبع طوفات والسبع رجمات والسبع هرولات وهى بقايا من خرافة الارقام الطلسمية فى الشعوذات القديمة ، وثوب الاحرام الذى تلبسونه على اللحم .. لا تؤاخذنى اذا كنت أجرحك بهذه الصراحة ولكن لا حياء فى العلم .

وراح ينفث دخان سيجارته ببطء ويراقبنى منوراء نظارته .

قلت فى هدوء :

ـ ألا تلاحظ معى أنت أيضا أن فى قوانين المادة التى درستها أن الاصغر يطوف حول الاكبر ، الالكترون فى الذرة يدور حول النواة .والقمر حول الارض، والارض حول الشمس ، والشمس

حول المجرة ، والمجرة حول مجرة أكبر ، الى أن نصل الى «الاكبر مطلقا » وهو الله ٠٠ ألا نقول « الله أكبر » ٠٠ أى أكبر من كل شيء ٠٠ وبالتالى وحسب قانونك العلمى يجب أن يطوف حوله كل شيء ٠٠ وأنت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية رغم أنفك ولا تملك الا أن تطوف فلا شيء ثابت فى الكون الا الله هو الصمد الصامد الساكن والكل فى حركة حوله ٠٠ وهذا هو قانون الاصغر والاكبر الذى تعلمته فى الفيزياء ٠٠ أما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله ٠٠ وهو أول بيت اتخذه الانسان لعبادة الله ٠٠ فأصبح من ذلك التاريخ السحيق رمزا وبيتا لله ٠٠ ألا تطوفون أنتم حول رجل محنط فى الكرملين تعظمونه وتقولون انه أفاد البشرية ، ولو عرفتم لشكسبير قبرا لتسابقتم الى زيارته بأكثر مما نتسابق الى زيارة قبر محمد عليه الصلاة والسلام ٠٠ ألا تضعون باقة ورد على نصب حجرى وتقولون انه يرمز للجندى المجهول فلماذا تلوموننا لاننا نلقى حجرا على نصب رمزى نقول انه يرمز الى الشيطان ٠٠ ألا تعيش فى هرولة من ميلادك الى موتك ثم بعد موتك يبدأ ابنك الهرولة من جديد وهى نفس الرحلة الرمزية من الصفا « الصفاء أو الخواء أو الفراغ رمز للعدم » الى المروة وهو النبع الذى يرمز الى الحياة والوجود ٠٠ من العدم الى الوجود ثم من الوجود الى العدم ٠٠ أليست هذه هى الحركة البندولية لكل المخلوقات ٠٠ ألا ترى فى مناسك الحج تلخيصا رمزيا عميقا لكل هذه الاسرار .

ورقم ٧ الذى تسخر منه ٠٠ دعنى أسألك ما السر فى أن درجات السلم الموسيقى ٧ صول لا سى دو رى مى فا ثم بعد المقام السابع يأتى جواب الصول من جديد ٠٠ فلا نجد ٨ وانما نعود الى سبع درجات أخرى وهلم جرا ، وكذلك درجات الطيف الضوئى ٧ وكذلك تدور الالكترونات حول نواة الذرة فى طاقات ٧ والجنين لا يكتمل الا فى الشهر ٧ واذا ولد قبل ذلك يموت وأيام الاسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشرى ٧ وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا ٠٠ ألا يدل ذلك على

شيء ٠٠ أم أن كل هذه العلوم هي الاخرى شعوذات طلسمية ٠

ألا تقبل خطابا من حبيبتك ٠٠هل أنت وثني ؟ فلماذا تلومنا اذا قبلنا ذلك الحجر الاسود الذى حمله نبينا محمـــد عليـــه الصلاة والسلام فى ثوبه وقبله ٠ لا وثنية فى ذلك بالمرة ٠٠ لاننا لا نتجه بمناسك العبادة نحـــو الحجارة ذاتها ٠٠ وانما نحو المعانى العميقة والرموز والذكريات ٠

ان مناسك الحج هي عدة مناسبات لتحريك الفـــكر وبعث المشـــاعر واثارة التقوى في القلب ٠ أما ثوب الاحرام الذي نلبسه على اللحم ونشترط ألا يكون مخيطا فهو رمز للخروج من زينة الدنيا وللتجرد التام أمام حضرة الخالق ٠٠ تماما كما نأتى الى الدنيا في اللفة ونخرج من الدنيا فى لفة وندخل القبر في لفة ٠٠ ألا تشترطون أنتم لبس البدل الرسمية لمقابلة الملك ونحن نقول : انه لا شيء يليق بجلالة الله الا التجرد وخلع جميع الزينة لانه أعظم من جميـــع الملوك ولانه لا يصلح فى الوقفة أمامه الا التواضع التام والتجرد ٠٠ ولان هذا الثوب البسيط الذى يلبسه الغنى والفقير والمهراجا والمليونير أمام الله فيه معنى آخر للاخوة رغم تفاوت المراتب والثروات ٠

والحج عنـــدنا اجتماع عظيم ومؤتمر ســـنوى ٠٠ ومثله صلاة الجمعة وهى المؤتمر الصغير الذى نلتقى فيه كل اسبوع ٠

هى كلها معان جميلة لمن يفكر ويتأمل ٠٠ وهى أبعد ما تكون عن الوثنية ٠

ولو وقفت معى فى عرفة بين عـدة ملايين يقولون الله أكبر ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لغة ويهتفون لبيك اللهم لبيك ويبكون ويذوبون شوقا وحبا ــ لبكيت أنت أيضـــا دون أن تدرى وذبت فى الجمع الغفير من الخلق ٠٠ وأحسست بذلك الفناء والخشـــوع أمام الاله العظيم مالك الملك الذى بيـــده مقاليـــد كل شيء ٠

● لماذا لا يكون القرآن من تأليف محمد ؟

قال صاحبى وهو ينتقى عباراته :

ـ لا اريد ان اجرحك فأنا أعلم اعتزازك بالقرآن وأنا معك فى أنه كتاب قيم .. ولكن لماذا لا يكون من تأليف محمد .. ان رجلا فى عظمة محمد لا يستغرب منه أن يضع كتابا فى عظمة القرآن .. وسوف يكون هذا منطقيا أكثر من ان نقول ان الله أنزله . فانا لم نر الله ينزل من السماء شيئا .. ونحن فى عصر من الصعب أن نقنع فيه انسانا بأن هناك ملاكا اسمه جبريل نزل من السماء بكتاب ليوحي به الى أحد .

قلت فى هدوء :

ـ بل نحن فى عصر يسهل فيه تماما أن نصدق بأن هناك ملائكة لا ترى وبأن الحقائق يمكن أن تلقى الى الانسان وحيا .. فهم يتكلمون اليوم عن أطباق طائرة تنزل على الارض من كواكب بعيدة . واشعة غير منظورة تقتل ، وأمواجا لاسلكية تحدد الاهداف وتضربها .. وصورا تتحول الى ذبذبات فى الهواء ثم تستقبل فى أجهزة صغيرة كعلب التبغ .. وكاميرات تصور الاشباح ..

وعيونا ترى فى الظلام ·· ورجلا يمشى على القمر ·· وسفينة تنزل على المريخ ·

لم يعد غريبا أن نسمع أن الله أرسل ملكا خفيا من ملائكته ·· وأنه ألقى بوحيه على أحد أنبيائه ·· لقد أصبح وجود جبريل اليوم حقيقة من الدرجة الثانية ·· وأقل عجبا وغرابة مما نرى ونسمع كل يوم ·

أما لماذا لا نقول أن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ·· فلأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما لايدخل فى قدرة بشر أن يؤلفه ·· فاذا أضفنا الى ذلك أن محمدا عليه الصلاة والسلام كان أميا لايقرأ ولا يكتب ولم يتعلم فى مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فان احتمال الشك واحتمال القاء هذا السؤال يغدو مستحيلا ·· والله يتحدى المنكرين أمثالك ممن زعموا أن القرآن مؤلف ·

(قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله)
٣٨ ــ يونس

استعينوا بالجن والملائكة وعباقرة الانس وأتوا بسورة من مثله ·

ومازال التحدى قائما ولم يأت أحد بشىء ·

واذا نظرنا الى القرآن فى حياد وموضوعية فسوف نستبعد تماما ان يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو مؤلفه ·· أولا ·· لانه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه فى عام واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبا طالب ولا سند له فى الحياة غيرهما ·· وفجيعته فيهما لا تقدر ·· ومع ذلك لا يأتى لهما ذكر فى القرآن ولا كلمة ·· وكذلك يموت ابنه ابراهيم ويبكيه و لايأتى لذلك خبر فى القرآن ·· القرآن معزول تماما عن الذات المحمدية ·

بل ان الآية لتأتى مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه ·· وأحيانا تنزل الآية معاتبة له كما حدث بصدد الاعمى الذى

انصرف عنه النبى الى أشراف قريش ٠

(عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى) ١ ــ ٤ عبس

وأحيانا تنزل الآية فتنقض عملا من أعمال النبى ٠

(ما كان لنبى أن يكـــون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ٠٠ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) ٦٧ ــ الانفال

وأحيانا يأمر القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقول لاتباعه مالا يمكن ان يقوله لو انه كان يؤلف الكلام تأليفا ٠

(قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) ٩ ــ الأحقاف

لا يوجد نبى يتطوع من تلقاء نفســه ليقول لأتباعه لا أدرى ما يفعل بى ولا بكم ٠٠ لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا ٠٠ ولا املك لكم ضرا ولا نفعا ٠٠

فان هذا يؤدى الى ان ينفض عنه أتباعه ٠٠

وهذا ما حدث فقد اتخذ اليهود هذه الآية عذرا ليقولوا ٠٠ ما نفع هذا النبى الذى لايدرى ماذا يفعل به ولا بنا ٠٠ هــذا رجل لاجدوى فيه ٠٠

مثل هذه الآيات ما كان يمكن ان يؤلفها النبى لو كان يضع القرآن من عند نفسه ٠

ثانيا ــ لو نظرنا بعد ذلك فى العبارة القرآنية لوجدنا انها جديدة منفردة فى رصفها وبنائها ومعمارها ليس لها شبيه فيما سبق من أدب العرب ولا شبيه فيما اتى لاحقا بعــد ذلك ٠٠ حتى لتكاد اللغة تنقسم الى شعر ونثر وقرآن ٠٠ فنحن أمام كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشــعر ٠ فموسيقى الشعر تأتى من الوزن ومن التقفية فنسمع الشاعر ابن الابرص الاسدى ينشد :

اقفــــر من أهـــله عبيـــــد
فليس يبــــدى ولا يعيـــــد

هنا الموســـيقى تخرج من التشطير ومن التقفيه على الدال الممدودة ، فهى موسيقى خارجية ٠٠ أما موسيقى القرآن فهى موسيقى داخلية ٠

(**والضحى والليل اذا سجى**) ١ ــ الضحى

لا تشطير ولا تقفية فى هذه العبارة البسيطة ولكن الموسيقى تقطر منها ٠٠ من اين ٠٠ انها موسيقى داخلية ٠

اسمع هذه الآيات ٠

(**رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا**) ٤ ــ مريم

وهذه الآيات ٠

(**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ٠ الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ٠ الرحمن على العرش استوى**) طه ــ ١ ــ ٤

فاذا تناولت الايات تهديـــدا تحول بناء العبـــارة ونحتها الى جلاميد صخر وأصبح للايقاع صلصلة نحاسية تصخ السمع ٠

(**انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مســـتمر تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر**) ١٩ ــ ٢٠ القمر

كلمات مثل « صرصرا » ٠٠ « ومنقعر » ٠٠ كل كلمة كأنها جلمود صخر ٠

فاذا جاءت الآية لتروى خبرا هائلا كما فى نهاية الطــوفان تقاصرت العبارات وكأنها اشـــارات مـــورس التلغرافية ، واصبحت الآية كلها كأنها تلغراف مقتضب له وقـــع هائل

(**وقيــــل ياأرض ابلعى ماءك ، وياســـماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر**) ٤٤ ــ هود

هـــذا التلون فى نحت الالفاظ وفى بناء العبارة وفى ايقـاع الكلمات مع المعانى والمشـــاعر ٠٠ يبلغ فى القرآن ذروة ٠٠ ويأتى دائما منسابا لا تكلف فيه ولا تعمل ٠

ثالثا ـ اذا مضينا فى التحليل أكثر فانا سنكتشف الدقة البـالغة والاحكـام المذهل ٠٠ كل حرف فى مكانه لا تقـديم ولاتأخير ٠٠ لاتستطيع أن نضع كلمة مكان كلمة ولاحرفا مكان حرف ٠٠ كل لفظة تم اختيارها من مليون لفظة بميزان دقيق ٠

وسنرى ان هذه الدقة البالغة لا مثيل لها فى التأليف ٠

انظر الى هذه الكلمة « لواقح » فى الآية

(وأرسلنا الرياح لواقح) ٢٢ ـ الحجر

وكانوا يفسرونها فى المـاضى على المعنى المجـازى بمعنى أن الرياح تثير السـحب فتسـقط المطر فيلقح الارض بمعنى « يخصبها » ثم عرفنا اليوم أن الرياح تسوق السحب ايجابية التكهرب وتلقى بها فى أحضـان السحب سـالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر ٠٠ وهى بهذا المعنى « لواقح » أيضا ونعرف الآن أيضـا أن الرياح تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة فتلقحها بالمعنى الحرفى ٠

فها نحن أمام كلمـة صادقة مجازيا وحرفيا وعلميا ثم هى بعد ذلك جميلة فنيا وأدبيا وذات ايقاع حلو ٠

هنـا نرى منتهى الدقة فى انتقاء اللفظـة ونحتها ، وفى آية أخرى ٠

(لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحـكام لتأكلوا فريقـا من امـوال النـاس بالاثم وأنتم تعلمون) ١٨٨ ـ البقرة

كلمة « تدلوا » ٠

مع أن الحاكم الذى تلقى اليـه الاموال فى الاعلى وليس فى الاسفل ٠٠ لا ٠٠ ان القرآن يصحح الوضـع ٠٠ فاليد التى تأخذ الرشـوة هى اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم ٠٠ ومن هنا جاءت كلمة « تدلوا بها الى الحكام » لتعبر فى بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتشى وسفله ٠

وفى آية الجهاد ٠

(مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض) ٣٨ ـ التوبة

القرآن يستعمل كلمة « اثاقلتم » بدلا من تثاقلتم ٠٠ يدمج الحروف ادماجا ويلصقها الصاقا ليعبر عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالارض « ويتربسون » فيها من الخوف اذا دعوا الى القتال فجاءت حروف الكلمة بالمثل « متربسة » ٠

وفى آية قتل الاولاد من الفقر نراها جاءت على صورتين :

(ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)
١٥١ ــ الانعام

(ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)
٣١ ــ الاسراء

والفرق بين الآيتين لم يأت اعتباطا وانما جاء لأسباب محسوبة ٠٠ فحينما يكون القتل من املاق فان معناه أن الاهل فقراء فى الحاضر فيقول نحن « نرزقكم » واياهم ٠ وحينما يكون قتل الاولاد خشية املاق فان معناه أن الفقر هو احتمال فى المستقبل ولهذا تشير الآية الى الابناء فتقول نحن «نرزقهم» واياكم ٠ مثل هذه الفروق لا يمكن أن نخطر على بال مؤلف ٠

وفى حالات التقديم والتأخير نجد دائما انه لحكمة ٠ نجد أن السارق مقدم على السارقة فى آية السرقة بينما الزانية مقدمة على الزانى فى آية الزنا ٠٠ وذلك لسبب واضح أن الرجل أكثر ايجابية فى السرقة ٠٠ أما فى الزنا فالمرأة هى التى تأخذ المبادرة ٠٠ من لحظة وقوفها أمام المرآة تضع البارفان ولمسات التواليت وتختار الفستان أعلى الركبة فانها تنصب الفخاخ للرجل الموعود ٠

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)
٢ ــ النور

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ٣٨ ــ المائدة

وبالمثل تقديم السمع على البصر فى أكثر من ١٦ مكانا ٠

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧٨ ــ النحل

(وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ٢٦ ــ الاحقاف

(أسمع بهم وأبصر) ٣٨ مريم

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)
٣٦ ـ الاسراء
(وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم)
٢٢ ـ فصلت
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ١١ الشورى

دائما السمع أولا ٠

ولا شك أن السمع أكثر ارهافا وكمالا من البصر ٠

اننا نسمع الجن ولا نراه ٠

والانبياء سمعوا الله وكلموه ولم يره أحد ٠

وقد تلقى محمد عليه الصلاة والسلام القرآن سمعا ٠٠ والام تميز بكاء ابنها في الزحام ولا تستطيع أن تميز وجهه ٠٠ والسمع يصاحب الانسان أثناء النوم فيظل صاحيا بينما تنام عيناه ، ومن حاول تشريح جهاز السمع يعلم أنه أعظم دقة وارهافا من جهاز البصر ٠٠

وبالمثل تقديم المال على الولد ٠

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)
٨٨ ـ الشعراء
« انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)
١٥ ـ التغابن
(لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ١١٦ ـ آل عمران
(أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) ٥٥ ـ المؤمنون
(فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) ٥٥ ـ التوبة
(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته)
٢٠ ـ الحديد

والامثلة على هذا التقديم كثيرة ٠

والسر ان المال عند أكثر الناس اعز من الولد ٠٠

ثم الدقة والخفاء واللطف في الاعراب . انظر الى هذه الآية ..

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما)
٩ ـ الحجرات

مرة عوملت الطائفتان على أنهما جمع (اقتتلوا) ومرة على انهما مثنى (**فأصلحوا بينهما**) والسر لطيف .. فالطائفتان في القتال تلتحمان وتصبحان (جمعاً) من الاذرع المتضاربة .. بينما في الصلح تنفصلان الى (اثنين) .. وترسل كل واحدة عنها مندوبا ومن هنا قال :

(وان طائفتان من المؤمنين «اقتتلوا» فأصلحوا «بينهما») .

حتى حروف الجر والوصل والعطف تأتى وتمتنع فى القرآن لاسباب عميقة وبحساب دقيق محكم .. مثلا تأتى كلمة « يسألونك » فى أماكن عديدة من القرآن :

(يسالونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ ـ البقرة
(يسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) ٨٥ ـ الاسراء
(يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج)
١٨٩ ـ البقرة

دائما الجواب بكلمة «قل » .. ولكنها حين تأتى عن الجبال :

(يسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) ١٠٥ ـ طه
هنا لاول مرة جاءت « **فقل** » بدلا من « **قل** » .

والسبب ان كل الاسئلة السابقة كانت قد سئلت بالفعل ، أما سؤال الجبال فلم يكن قد سئل بعد لانه من أسرار القيامة ، وكانما يقول الله ، فاذا سألوك عن الجبال « **فقل** » .. فجاءت الفاء زائدة لسبب محسوب .

أما فى الآية

(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى) .
١٨٦ ـ البقرة

هنا لاترد كلمة قل لان السؤال عن ذات الله .. والله اولى بالاجابة عن نفسه .

كذلك الضمير انا ونحن .

يتكلم الله بضمير الجمع حينما كان التعبير عن «فعل» الهى يشترك فيه مجموع الصفات الالهية كالخلق وانزال القرآن وحفظه ..

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ٩ ــ الحجر

(**نحن خلقناكم فلولا تصدقون**) ٦٧ ــ الواقعة

(**انا انزلناه فى ليلة القدر** ١ ــ القدر

(**افرأيتم ماتمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**) ٥٩ ــ الواقعة

(**نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا**) ٢٨ ــ الانسان

« **ونحن** » هنا تعبر عن جمعية الصفات الالهية وهى تعمل فى ابداع عظيم مثل عملية الخلق .

أما اذا جاءت الآية فى مقام مخاطبة بين الله وعبده كما فى موقف المكالمة مع موسى .. تأتى الآية بضمير المفرد .

(**اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى**) ١٤ ــ طه

الله يقول « أنا » لان الحضرة هنا حضرة ذات ، وتنبيها منه سبحانه على مسألة التوحيد والوحدانية فى العبادة .

ونجد مثل هذه الدقة الشديدة فى آيتين متشابهتين عن الصبر تفترق الواحدة عن الاخرى فى حرف اللام .

يقول لقمان لولده :

(**واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور**) ١٧ ــ لقمان

وفى آية اخرى عن الصبر نقرأ :

(**ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور**) ٤٣ ــ الشورى

الصبر فى الاولى « **من عزم الامور** » وفى الثانية « **لمن عزم الامور** » .. وسر التوكيد باللام فى الثانية انه صبر مضاعف لانه صبر على عدوان بشرى لك فيه غريم وأنت مطالب فيه بالصبر والمغفرة وهو أمر أشد على النفس من الصبر على القضاء الالهى الذى لاحيلة فيه .

ونفس هذه الملاحظة عن « **اللام** » نجدها مرة أخرى فى آيتين عن انزال المطر وانبات الزرع :

(**أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا «أى مالحا»**) ٦٩ ـ الواقعة

وفى آية ثانية :

(**أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما**) ٦٥ الواقعة

فى الآية الاولى « **جعلناه** » أجاجا ·· وفى الآية الثانية « **لجعلناه** » حطاما واللام جاءت فى الثانية لضرورة التوكيد لان هناك من سوف يدعى بانه يستطيع ان يتلف الزرع كما يتلفه الخالق ويجعله حطاما ·· بينما لن يستطيع أحد من البشر ان يدعى ان فى أمكانه ان ينزل من سحب السماء مطرا مالحا فلا حاجة الى توكيد باللام ··

ونفس هذه الدقة نجدها فى وصف ابراهيم لربه فى القرآن بأنه :

(**الذى يميتنى ثم يحيين**) ٨١ الشعراء

(**والذى هو يطعمنى ويسقين**) ٧٩ ـ الشعراء

فجاء بكلمة « **هو** » حينما تكلم عن « **الاطعام** » ليؤكد الفعل الالهى لانه سوف يدعى الكل انهم يطعمونه ويسقونه ·· بينما لن يدعى أحد بأنه يميته ويحييه كما يميته الله ويحييه ·

ونجد هذه الدقة أيضا حينما يخاطب القرآن المسلمين قائلا :

(**اذكرونى اذكركم**) ١٥٢ ـ البقرة

ويخاطب اليهود قائلا :

(**اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم**) ٤٠ ـ البقرة

فاليهود ماديون لايذكرون الله الا فى النعمة والفائدة والمصلحة ، والمسلمون أكثر شفافية ويفهمون معنى ان يذكر الله لذاته لالمصلحة ·· وبنفس المعنى يقول الله للخاصة من أولى الالباب :

(**اتقونى ياأولى الالباب**) ١٩٧ ـ البقرة

ويقول للعوام :

(اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ٢٤ البقرة

لان العوام لا يردعهم الا النار أما الخاصة فهم يعلمون أن الله أقوى من كل نار وانه يستطيع ان يجعل النار بردا وسلاما ان شـــــاء ٠

ونجد مثل هـــذه الدقة البالغة في اختيـــار اللفظ في كلام ابليس حينما اقسم على ربه قائلا :

(فبعزتك لاغوينهم اجمعين) ٨٢ ـ ص

أقسم ابليس بالعزة الالهية ولم يقسم بغيرها فأثبت بذلك علمه وذكاءه لان هذه العزة الالهية هي التي اقتضت استغنـــاء الله عن خلقه ٠٠ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ٠٠ ولـن يضروا الله شيئا فهو العزيز عن خلقه ، الغني عن العالمين ٠

ويقول الله في حديثه القدسي :

« هؤلاء في النار ولا أبالي وهؤلاء في الجنة ولا أبالي » ٠

وهذا مقتضى العزة الالهية ٠٠

وهي الثغرة الوحيدة التي يدخل منها ابليس ٠٠ فهـــو بها يستطيع ان يضل ويوسوس لان الله لن يقهر احدا اختار الكفر على الايمان ٠٠ ولهذا قال « فبعزتك » لأغوينهم أجمعين ٠

(لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) ١٦ ـ الاعراف

ذكر الجهات الاربع ولم يذكر من فوقهم ولا مـــن تحتهم ٠٠ لان « فوق » الربوبية ، « وتحت » ، تواضع العبودية ٠٠ ومن لزم مكانه الادنى من ربه الاعلى ٠٠ لم يســـتطع الشـــيطان ان يدخل عليه ٠

ثم ذكر ابليس ان مقعده المفضل للاغواء سوف يكون الصراط المستقيم ٠٠ على طريق الخير وعلى سجادة الصـــــلاة لان تارك الصلاة والسكير والعربيد ليس في حاجة الى ابليس ليضـــــله فقد تكفلت نفسه باضـــلاله ٠٠ انه انســـان خرب ،، وابليس لص ذكي لايحب ان يضـــــيع وقته بأن يحـــوم حـــول البيوت الخربة ٠

مثل آخر من أمثلة الدقة القرآنية نجده في سبق المغفرة على العذاب والرحمة على الغضب فى القرآن ·· فالله فى الفاتحة هو الرحمن الرحيم قبل أن يكون مالك يوم الدين·· وهو دائما يوصف بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء · تأتى المغفرة أولا قبل العذاب الا فى مكانين فى آية قطع اليد :

(يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) ٤٠ ـ المائدة

لان العقوبة بقطع اليد عـــذاب دنيوى ·· تليـه مغفـرة أخروية ·· وفى كلام عيسى يوم القيامـة عـن المشركين الذين عبدوه من دون الله ·· فيقول لربه :

(ان تعـذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ١١٨ ـ المائدة

فلا يقـول فانك انت الغفـور الرحيم تأدبا ·· ويذكر لهم العذاب قبل المغفرة ·· لعظم الاثم الذى وقعوا فيه ·

ونجد هذه الدقة القرآنية مرة أخـرى فى تنـاول القـرآن للزمن ·· فالمستقبل يأتى ذكره على لسان الخالق عـلى أنه ماض ·· فاحداث يوم القيامة ترد كلها على أنها ماض ·

(ونفخ فى الصور) ٩٩ ـ الكهف

(وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ١٦ ـ الحاقة

(وبرزت الجحيم للغاوين) ٩١ ـ الشعراء

(وعرضوا على ربك صفا) ٤٨ ـ الكهف

والسر فى ذلك ان كل الاحداث حاضرها ومستقبلها قـد حدثت فى علم الله وليس عند الله زمن يحجب عنه المستقبل فهو سبحانه فوق الزمان والمكان ولهذا نقرأ العبارة القرآنيـة احيانا فنجد انها تتحدث عن زمانين مختلفين وتبدو فى ظاهرها متناقضـة مثل :

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) ١ ـ النحل

فالامر قد أتى وحدث فى الماضى · لكن الله يخاطب الناس بان لايستعجلوه كما لو كان مستقبلا لم يحدث بعد ·· والسر كما شرحنا انه حدث فى علم الله لكنه لم يحدث بعد فى عـلم الناس ولا تناقض ·· وانما دقة واحكام وخفاء واسـتسرار

وصدق فى المعانى العميقة ٠

هذه بعض الامثلة للدقة البالغة والنحت المحكم فى بنـاء العبارة القرآنية وفى اختيار الالفاظ واستخدام الحروف لازيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير الا بحسـاب وميزان ولا نعرف لذلك مثيلا فى تأليف أو كتاب مؤلف ولانجده الا فى القرآن ٠

أما لمحات العلم فى القرآن وعجائب الآيات الكونية التى أتت بالاسرار والخفايا التى لم تكتشـف الا فى عصرنا ، والتى لم يعرفها محمد عليه الصلاة والسلام ولا عصره فهى موضوع آخر يطول ، وله جلسة اخرى ٠



● القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفاً

قلت لصديقى :

ربما كان حديث اليوم عن لمحات العلم فى القرآن أكثر اثارة لعقلك العلمى من جلستنا السابقة ·· فما كان الفلك الحديث ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح معروفة حينما نزلت الآيات الكونية فى القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة لتتكلم عن السموات والارض والنجوم والكواكب وخلق الجنين وتكوين الانسان بما يتفق مع أحدث العلوم التى جاء بها عصرنا ·

ولم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمى المتخصص لانه جاء فى المقام الاول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع ·· ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لايفهمونه ·· ولهذا لجأ الى أسلوب الاشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين ·· وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآيات

ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق .

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ٥٣ ــ فصلت

لانهم لم يكتفوا بشهادة الله على كتابه .. فأصبح من الضرورى أن نريهم ذلك بالآيات الكاشفة .

هكذا يقول الله فى كتابه .

ومازال القرآن يكشف لنا يوما بعد يوم مزيدا من تلك الآيات العجيبة .

حول كروية الارض جاءت هذه الآيات الصريحة التى تستخدم لفظ التكوير لتصف انزلاق الليل والنهار كنصفى كرة .

(يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ٥ ــ الزمر

ثم الآية التى تصف دحو الارض .

(والارض بعد ذلك دحاها) ٣٠ ــ النازعات

ودحا هى الكلمة الوحيدة فى القاموس التى تعنى البسط والتكوير معا .. والارض كما هو معلوم مبسوطة فى الظاهر ومكورة فى الحقيقة بل هى أشبه بالدحية « البيضة » فى تكويرها .

ثم نقرأ اشارة اخرى صريحة عن ان الجبال تسبح فى الفضاء وبالتالى فالارض كلها تسبح بجبالها حيث هى والجبال كتلة واحدة .

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء) ٨٨ ــ النمل

فالجبال التى تبدو جامدة ساكنة هى فى الواقع سابحة فى الفضاء .. وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوين الهش للمادة .. التى نعرف الآن انها مؤلفة من ذرات كما ان السحب مؤلفة من قطيرات .

ثم الكلام عن تواقت الليل والنهار دون ان يسبق احدهما الآخر من مبدأ الخلق الى نهايته .

(لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) ٤٠ ــ يس

اشارة أخرى الى كروية الارض ٠٠ حيث بدأ الليل والنهار معا وفي وقت واحد منذ بدء الخليقة كنصفي كـرة ولو كانت الارض مسطحه لتعاقب النهار والليل الواحـــد بعـــد الآخر بالضرورة ٠

ثم تأتي القيامة والارض في ليل ونهار في وقت واحد كمـا كانت يوم البدء ٠

(حتى اذا أخـذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) ٢٤ ــ يونس

وفي قوله ليلا أو نهارا ٠٠ تأكيد لهذا التواقت الذى لاتفسير له الا أن نصف الارض محجوب عن الشـــمس ومظلم والآخر مواجه للشمس ومضيء بحكم كونها كروية ولو كانت مسطحة لكان لها في كل وقت وجه واحد ولما صح ان نقول :

(ولا الليل سابق النهار) ٤٠ ــ يس

ثم تعدد المشارق والمغارب في القرآن فالله يوصف بأنه :

(رب المشارق والمغارب) ٤٠ ــ المعارج

و **(رب المشرقين ورب المغربين)** ١٧ ــ الرحمن

ولو كانت الارض مسطحة لكان هناك مشرق واحـد ومغرب واحـــــد ٠

يقول الانسان لشيطانه يوم القيامة :

(ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) ٣٨ ــ الاعراف

ولاتكون المسافة على الارض ابعد ماتكون بين مشرقين الا اذا كانت الارض كروية ٠

ثم الكلام عن السماء بأن فيها مسارات ومجالات وطرقا :

(والسماء ذات الحبك) ٧ ــ الذاريات ٠

والحبك هي المسارات ٠

(والسماء ذات الرجع ٠٠ ــ ١١ ــ الطارق ٠

اى أنها ترجع كل مايرتفع فيها الى الارض ٠٠ ترجع بخـار الماء مطرا ٠٠ وترجع الاجسام بالجاذبية الارضية ٠ وترجـــع الامواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الايونوسفير ٠٠ كمـــا

ترجع الاشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة الى الارض بنفس الطريقة فتدفئها فى الليل ·

وكما تعكس السماء ماينقذف اليها من الارض كذلك تمتص وتعكس وتشتت ماينقذف اليها من العالم الخارجى وبذلك تحمى الارض من قذائف الاشعة الكونية المميتة والاشعة فوق البنفسجية القاتلة ·· فهى تتصرف كأنها سقف ·

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) ٣٢ ـ الانبياء

(والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) ٤٧ ـ الذاريات

وهو مايعرف الان باسم تمدد الكون المضطرد ·

وكان مثقال الذرة يعرف فى تلك الايام بأنه أصغر مثقال وكانت الذرة توصف بأنها جوهر فرد لا ينقسم ·· فجاء القرآن ليقول بمثاقيل أصغر تنقسم اليها الذرة ·· وكان أول كتاب يذكر شيئا اصغر من الذرة ·

(لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) ٣ ـ سبأ

كل هذه لمحات كاشفة قاطعة عن حقائق مذهلة مثل كروية الارض وطبيعة السماء والذرة وهى حقائق لم تكن تخطر على بال عاقل أو مجنون فى هذا العصر البائد الذى نزل فيه القرآن ·

ثم بصيرة القرآن فى تكوين الانسان وكلامه عن النطفة المنوية وانفرادها بتحديد جنس المولود ·

(والذى خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) ٤٥ ـ النجم

وهى حقيقة بيولوجية لم تعرف الا هذا الزمان ·· ونحن نقول الآن ان رأس الحيوان المنوى هو وحده الذى يحتوى على عوامل تحديد الجنس Sex Determination Factor

وتسوية البنان بما فيه من رسوم البصمات التى اوردها الله فى مجال التحدى عن البعث والتجسيد ·

(ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه) ٣ ـ ٤ ـ القيامة

بل سوف نجسد حتى ذلك البنان ونسويه كما كان ··

وفى ذلك لفتة الى الاعجاز الملحوظ فى تسوية البنان بحيث لا يتشابه فيه اثنان .

وأوهن البيوت فى القرآن هو بيت العنكبوت ٠٠ لم يقل الله خيط العنكبوت بل قال بيت العنكبوت ٠٠ وخيط العنكبوت كما هو معلوم أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات ٠٠ انما الوهن فى البيت لا فى الخيط ٠٠ حيث يكون البيت أسوا ملجأ لمن يحتمى فيه فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء ٠٠ وهو مقتل حتى لأهله فالعنكبوت الأنثى تأكل زوجها بعد التلقيح ٠٠ وتأكل أولادها عند الفقس والاولاد يأكل بعضهم بعضا ٠

ان بيت العنكبوت هو ابلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير ٠

وهكذا حال من يلجأ لغير الله ٠٠ وهنا بلاغة الآية :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) ٤١ ـ العنكبوت

وجاءت خاتمة الآية عبارة ٠٠ « **لوكانوا يعلمون** » ٠٠ اشارة الى انه علم لن يظهر الا متأخرا ٠٠ ومعلوم أن هذه الاسرار البيولوجية لم تظهر الا متأخرة ٠

كذلك نجد فى سورة الكهف :

(ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)
٢٥ ـ الكهف

ونعرف الآن ان ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسى تساوى ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمرى باليوم والدقيقة والثانية ٠

وفى سورة مريم يحكى الله تبارك وتعالى عن مريم وكيف جاءها المخاض فأوت الى جذع النخلة وهى تتمنى الموت فناداها المنادى ان تهز بجذع النخلة وتأكل مايتساقط من رطب جنى ٠

(فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل

ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا) ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ مريم

ولماذا الرطب ؟!!

ان احدث بحث علمي عن الرطب يقول ان فيه مادة قابضـة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة مثل مادة Oxytocin وان فيه مادة ملينة ٠٠ ومعلوم طبيا ان الملينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للقولون ٠

ان الحكمة العلمية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة ٠

هذه الامثلة من الصدق العلمي والصدق المجازى والصدق الحرفى هو ما أشار اليه الله سبحانه واصفا القرآن بأنه :

(لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ٤٢ ـ فصلت

وبأنه :

(لو كان من عنـد غير الله لوجـدوا فيـه اختلافـا كثيرا) ٨٢ ـ النساء

اختلافا بين الآيات وبين بعضها بمعنى تناقضها ٠٠ واختلافا عن الحقائق الثابتـة التى سـوف تكشفها العلوم ٠٠ وكلا الاختلافين نجـده دائمـا فى الكتب المؤلفة ٠٠ ولهـذا يحرص المؤلف على ان يضيف أو يحذف أو يعدل كلما اصدر طبعـة جديدة من كتبه ٠٠ ونرى النظريات تتلو بعضها البعض مكذبة بعضـها البعض ٠٠ ونرى المؤلف مهما راعى الدقة يقـع فى التناقض ٠٠ وهى عيوب لانجدها فى القرآن ٠

وهو بعد ذلك معجزة لانه يخبرك عن ماض لم يؤرخ ويتنبأ بمستقبل لم يأت ٠

وقد صدقت نبوءات القرآن المتعددة ٠

عن انتصار الروم بعد هزيمتهم ٠

(غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ الروم

و « **بضع** » فى اللغة هى مابين ثلاث وتسع .. وقد جاء انتصار الروم بعد سبع سنين .

وعن انتصار بدر :

(سيهزم الجمع ويولون الدبر) ٤٥ ـ القمر

وعن رؤيا دخول مكة :

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق .. لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) ٢٧ ـ الفتح

وقد كان .

ومازالت فى القرآن نبوءات نراها تتحقق أمام اعيننا .. فهذا ابراهيم يدعو ربه :

(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم .. ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ٣٧ ـ ابراهيم

لقد دعا بالرزق لهذا الوادى الجديب .

ثم جاء وعد الله لاهل مكة بالرخاء والغنى حينما أمرهم بمنع المشركين من زيارة البيت فخافوا البوار الاقتصادى والكساد ، « وكان أهل مكة يعتمدون فى رواجهم على حج البيت » .. فقال ليطمئنهم :

(وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) ٢٨ ـ التوبة

وهو وعد نراه الآن يتحقق أمامنا فى البترول الذى يتدفق من الصحراء بلا حساب وترتفع اسعاره فى جنون يوما بعد يوم .. ثم فى كنوز اليورانيوم التى تخفيها تلك الصحارى بما يضمن لها الرخاء الى نهاية الزمان .

ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من اسرار الجن والملائكة مما لم يكشف الا لقلة من المخصوصين من أهل التصوف .. فاذا رأى هؤلاء فهم لايرون الا مايوافق كلمة القرآن واذا طالعوا لايطالعون الا ما يطابق أسراره .

ثم هو يقدم لنا الكلمة الاخيرة في السياسة والاخلاق ونظم الحكم والحرب والسلم والاقتصاد والمجتمع والزواج والمعاشرة ، ويشرع لنا من محكم الشرائع مايسبق به ميثاق حقوق الانسان كل ذلك في أسلوب منفرد وعبارة شامخة وبتيان جمالى وبلاغى هو نسيج وحده فى تاريخ اللغة ٠

سألوا ابن عربى عن سر اعجاز القرآن فأجاب بكلمة واحدة هى : « الصدق المطلق » فكلمات القرآن صادقة صدقا مطلقـا ، بينما أقصى مايستطيعه مؤلف هو ان يصل الى صدق نسبى وأقصى مايطمع فيه كاتب هو ان يكون صادقا حسب رؤيته ٠٠ ومساحة الرؤية دائما محدودة ومتغيرة من عصر الى عصر ٠٠ كل واحد منا يحيط بجانب من الحقيقة وتفوته جوانب ، ينظر من زاوية وتفوته زوايا ٠٠ وما يصل اليه من صدق دائمـا صدق نسبى ٠٠ أما صاحب العلم المحيط والبصر الشامل فهو الله وحده ٠٠ وهو وحده القادر على الصـدق المطلق ٠٠ ولهذا نقول على القرآن أنه من عند الله لانه اصاب الصدق المطلق فى كل شيء ٠

سألوا محمدا عليه الصلاة والسلام عن القرآن فقال :

« فيه نبـأ ماقبلكم وفصل مابينكم وخبر مابعـدكم وهـو الفصل ليس بالهزل وهو الذكر الحكيم وهو حبل الله المتين ٠ وهـو الصراط المستقيم ٠ من تركه من جبار قصمه الله ٠ ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ٠ وهو الذى لا تلتبس به الالسـن ٠ ولا تزيغ به العقول ٠ ولا يخلق عـلى كثرة الرد ٠ ولا يشبع منه العلماء ٠ ولا تنقضى عجائبه » ٠

وهذا هو كتابنا يا صديقى ٠

ولهذه الصفات مجتمعة لا يمكن أن يكون مؤلفا ٠

• شكوك

قال صاحبي : ·

ـ تقول ان القرآن لايتناقض مع نفسه فما بالك بهذه الآية

(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ٢٩ ـ الكهف

والآية الاخرى التي تنقضها :

(وماتشاؤون الا أن يشاء الله) ٣٠ ـ الانسان

ثم نجد القرآن يقول عن حساب المذنبين انهم سوف يسألون :

(ستكتب شهادتهم ويسألون) ١٩ ـ الزخرف

(وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) ٤٤ ـ الزخرف

ومرة أخرى يقول :

(ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون) ٧٨ ـ القصص

وانهم سوف يعرفون بسيماهم ·

(فيؤخذ بالنواصي والاقدام) ٤١ ـ الرحمن

ومرة يقول انه لا أحد سوف يشد وثاق المجرم

(ولا يوثق وثاقه احد) ٢٦ ـ الفجر

بمعنى أن كل واحد سوف يتكفل بتعذيب نفسه ·

(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ١٤ ـ الاسراء
ومـرة يقول :
(ثم فى سلسلة ذرعهـا سـبعون ذراعا فاسلكوه) ٣٢ ـ الحاقـة

قلت له :
ـ هذه ليست تناقضات ‥ ولنفكر فيها معا ، فمن شـاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ‥ آية صريحة تشير الى حرية العبد واختياره ‥ ولكن هـذه الحـرية لم نأخـذها من الله غصـبا وغلابا ‥ وانما أعطاها لنا الله بمشيئته ٠ فتأتى الآية الثانية لتشرح ذلك فتقول :
(وما تشاؤون الا أن يشاء الله)
أى ان حرية العبد ضمن مشيئة الرب وليست ضدها ‥ أى ان حرية العبد يمكن انتناقض الرضا الالهىفتختار المعصية ولكنها لايمكن ان تناقض المشيئة ‥ فهى تظل دائما ضـمن المشيئة ولو خالفت الرضا ‥ وهى نقطة دقيقة شرحناها فى موضوع المخير والمسير ‥ وقلنا ان التسـيير الالهى هو عين التخيير لان الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه ، ومعنى ذلك انه يريد للعبد نفس ماأراد العبد لنفسـه بنيتـه واختيـار قلبه ‥ أى ان العبد مسير الى ما اختـار ‥ ومعنى ذلك انه لا اكراه وأنه لاثنائية ولا تناقض ‥ وان التسيير هو عـين التخيير ‥ وهى مسألة من أدق المسـائل فى فهم لغز المخير والمسير ‥ وما تسميه أنت تناقضا هو فى الحقيقة جلاء ذلك السر ٠
أما الآيات الواردة عن الحساب فان كل آية تعنى طائفـة مختلفة فهناك من سوف يسأل وتطلب شهادته وهناك مـن ستكون ذنوبه من الكثرة بحيث تطفح على وجهـه وهـؤلاء هم الذين سوف يعرفون بسيماهم فيؤخذوا بالنواصى والاقدام ، وهناك المعاند المنكر الذى سوف تشهد عليه يداه ورجلاه ٠
(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشـهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) ٦٥ ـ يس

وهناك من سيكون حسيبا على نفسه يعذبها بالندم ويشد وثاقها بالحسرة .. وهو الذى لايوثق وثاقه أحد .
وهناك أكابر المجرمين الجبارين الذين سوف يكذبون على الله وهم يواجهونه ويحلفون الكذب وهم فى الموقف العظيم .

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون) ١٨ ـ المجادلة

وهؤلاء هم الذين سوف يسحبون على وجوههم ويوثقون فى السلاسل .

وأبو حامد الغزالى يفسر هذه السلاسل بأنها سلاسل الاسباب .

ـ وما رأيك فى كلام القرآن عن العلم الالهى .

(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) ٣٤ ـ لقمان

يقول القرآن أن الله اختص نفسه بهذا العلم لا يعلمه غيره .

(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) ٥٩ ـ الانعام

فما بالك الآن بالطبيب الذى يستطيع ان يعلم ما بالارحام ويستطيع ان يتنبأ أن كان ذكرا أم انثى .. وما بالك بالعلماء الذين انزلوا المطر الصناعى بالاساليب الكيماوية .

ـ لم يتكلم القرآن عن انزال المطر وانما عن انزال الغيث وهو المطر الغزير الكثيف الذى ينزل بكميات تكفى لتغيير مصير أمة واغاثتها ونقلها من حال الجدب الى حال الخصب والرخاء .. والمطر بهذه الكميات لايمكن انزاله بتجربة .

أما علم الله لما فى الارحام فهو علم كلى محيط وليس فقط علما بجنس المولود هل هو ذكر أم أنثى وانما علم بمن يكون ذلك المولود وما شأنه وماذا سيفعل فى الدنيا وما تاريخه من يوم يولد الى يوم يموت .. وهو أمر لا يستطيع أن يعلمه طبيب .

ـ وما حكاية كرسى الله الذى تقولون انه وسع السماوات والارض ·· وعرش الله الذى يحمله ثمانية ·

ـ ان عقلك يسع السماوات والارض وانت البشر الذى لاتذكر ·· فكيف لايسعها كرسى الله ·· والارض والشمس والكواكب والنجوم والمجرات محمولة بقوة الله فى الفضاء ·· فكيف تعجب لحمل عرش ·

ـ وما هو الكرسى وما العرش ·

ـ قل لى ما الالكترون أقل لك ما الكرسى ·· قل لى ما الكهرباء ·· قل لى ما الجاذبية ·· قل لى ما الزمان ·· انك لاتعرف ماهية أى شىء لتسألنى ما الكرسى وما العرش ·· ان العالم ملىء بالاسرار وهذه بعض أسراره ·

ـ والنملة التى تكلمت فى القرآن وحذرت بقية النمل من قدوم سليمان وجيشه ·

(قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده) ١٨ ـ النمل

ـ لو قرأت القليل عى علم الحشرات الآن لما سألت هذا السؤال ·· ان علم الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل ·

ولغة النمل الآن حقيقة مؤكدة ·· فما كان من الممكن ان تتوزع الوظائف فى خلية من مئات الالوف ويتم التنظيم وتنقل الاوامر والتعليمات بين هذا الحشد الحاشد لولا أن هناك لغة للتفاهم ولا محل للعجب فى أن نملة عرفت سليمان ·· ألم يعرف الانسان الله ·

ـ وكيف يمحو الله مايكتب فى لوح قضائه ·

(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

أيخطىء ربكم كما نخطىء فى الحساب فنمحو ونثبت ·· أم يراجع نفسه كما نراجع أنفسنا ·

ـ الله يمحو السيئة بأن يلهمك بالحسنة ويقول فى كتابه :

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤ ـ هود

ويقول عن عباده الصالحين :

وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة)
٧٣ ـ الانبياء
وبذلك يمحو الله دون ان يمحو وهذا سر الآية ٣٩ سورة الرعد التى ذكرتها
ـ وما رأيك في الآية ؟
(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ ـ الذاريات
هل كان الله في حاجة لعبادتنا ؟!
ـ بل نحن المحتاجون لعبادته ٠
هل تعبد المرأة الجميلة حبا بأمر تكليف ٠٠ أم انك تلتذ بهذا الحب وتنتشى وتسعد لتذوقك لجمالها ٠٠ كذلك الله وهو الاجمل من كل جميل اذا عرفت جلاله وجماله وقدره عبدته ووجدت في عبادتك له غاية السعادة والنشوة ٠
ان العبادة عندنا لاتكون الا عن معرفة ٠٠ والله لايعبد الا بالعلم ٠٠ ومعرفة الله هي ذروة المعارف كلها ونهاية رحلة طويلة من المعارف تبدأ منذ الميلاد وأول مايعرف الطفل عند ميلاده هو ثدى أمه وتلك أول لذة ثم يتعرف على أمه وأبيه وعائلته ومجتمعه وبيئته ثم يبدأ في استغلال هذه البيئة لمنفعته فاذا هى ثدى آخر كبير يدر عليه الثراء والمغانم والملذات فهو يخرج من الارض الذهب والماس ومن البحر اللآلىء ومن الزرع الفواكه والثمار وتلك هى اللذة الثانية فى رحلة المعرفة ثم ينتقل من معرفته لبيئته الارضية ليخرج الى السماوات ويضع رجله على القمر ويطلق سفائنه الى المريخ فى ملاحة نحو المجهول ليستمتع بلذة أخرى أكبر هى لذة استطلاع الكون ثم يرجع ذلك الملاح ليسأل نفسه ٠٠ ومن أنا الذى عرفت هذا كله ٠٠ ليبدأ رحلة معرفة جديدة الى نفسه بهدف معرفة نفسه والتحكم في طاقاتها وادارتها لصالحه وصالح الآخرين وتلك لذة اخرى ٠ ثم تكون ذروة المعارف بعد معرفة النفس هى معرفة الرب الذى خلق تلك النفس ٠ وبهذه المعرفة الاخيرة يبلغ الإنسان ذروة السعادات لانه يلتقى بالكامل المتعال الاجمل من كل جميل ٠٠ تلك هى رحلة العابد على طريق العبادة ٠٠ وكلها

ورود ومسرات ٠ واذا كانت فى الحياة مشقة ٠٠ فلأن قاطف الورود لابد ان تدمى يديه الاشـــواك ٠٠ والطامـع فى ذرى اللانهاية لابد أن يكدح اليها ٠٠ ولكن وصول العابد الى معرفة ربه وانكشاف الغطاء عن عينيه ٠٠ ما أروعه ٠٠ يقول الصوفى لابس الخرقة ٠٠ « نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » تلك هى لذة العبادة الحقة ٠٠ وهى من نصـــيب العابد ٠٠ ولكن الله فى غنى عنهـا وعـن العالمين ٠٠ ونحـن لانعبده بأمر تكليف ولكنا نعبده لاننا عرفنا جماله وجلاله ٠٠ ونحن لانجد فى عبادته ذلا بل تحررا وكرامة ٠٠ تحررا من كل عبوديات الدنيا ٠٠ تحررا من الشـهوات والغرائز والاطمـاع والمال ٠٠ ونحن نخاف الله فلا نعود نخاف أحدا بعده ولا نعود نعبأ بأحد ٠٠ خوف الله شجاعة ٠٠ وعبادته حرية ٠٠ والذل له كرامة ٠٠ ومعرفته يقين وتلك هى العبادة ٠٠ نحـن الذين نجنى أرباحها ومسراتها ٠٠ أما الله فهو الغنى عن كل شىء ٠٠ انما خلقنا الله ليعطينا لاليأخذ منا ٠٠ خلقنا ليخلع علينـــا من كمالاته فهو السميع البصير وقد أعطانا سمعا وبصرا وهـو العليم الخبير وقد أعطانا العقل لنتزود من علمه والحواس لنتزود من خبرته وهـو يقول لعبـده المقرب فى الحـديث القدسى :

(عبدى أطعنى اجعلك ربانيا تقل للشىء كن فيكون)

ألم يفعل هذا لعيسى عليه الســلام ٠٠ فكان عيسى يحيى الموتى باذنه ويخلق من الطـين طـيرا باذنه ويشـــفى الاعمى والابرص باذنه ٠

العبوديـة للـه اذن هى عكس العبودية فى مفهومنـــا ٠٠ فالعبودية فى مفهومنا هى ان يأخـــذ السـيد خـير العبـد أما العبودية لله فهى عـلى العكس أن يعطى السـيد لعبده مالا حدود له من النعم ويخلع عليــه مالا نهاية مـن الكمـالات ٠٠ فحينما يقول الله :

(ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ ـ الذاريات

فمعناها الباطن ما خلقت الجن والانس الا لاعطيهم وامنحهم حبـا وخـيرا وكرامة وعـــزة وأخـــلع عليهم ثوب التشريف والخلافة ٠

فالسيد الرب غنى مستغن عن عبادتنا .. ونحن المحتاجون الى هذه العبادة والشرف والمواهب والخيرات التى لا حد لها .

فالله الكريم سمح لنا ان ندخل عليه فى أى وقت بلا ميعاد ونبقى في حضرته ماشئنا وندعوه ماوسعنا .. بمجرد ان نبسط سجادة الصلاة ونقول « الله أكبر » نصبح فى حضرته نطلب منه مانشاء .

أين هو الملك الذى نستطيع ان ندخل عليه بلا ميعاد ونلبث فى حضرته مانشاء ؟!

وفى ذلك يقول مولانا العبد الصالح الشيخ محمد متولى الشعراوى فى شعر جميل :

حسب نفسى عزا اننى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الاعز ولكن
أنا ألقى متى وحين أحب

ويقول : أرونى صنعة تعرض على صانعها خمس مرات فى اليوم « يقصد الصلوات الخمس » وتتعرض للتلف !
وهذه بعض المعانى الباطنة فى الآية التى اثارت شكوكك :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

ولو تأملتها لما أثارت فيك الا الذهول والاعجاب .



● موقف الدين من التطور

قال صاحبى :

ـ موقفك اليوم سيكون صعبا فعليك ان تثبت ان خلق الانسان جاء على طريقة جلا جلا ٠٠ أمسك الخالق قطعة طين ثم عجنها فى يده ونفخ فيها فاذا بها آدم ٠٠ وهو كلام تخالفك فيه بشدة علوم التطور التى تقول ان صاحبك آدم جاء نتيجة سلسلة من الاطوار الحيوانية السابقة وأنه ليس مقطوع الصلة بأفراد عائلته من الحيوانات وأنه والقرود أولاد عمومة يلتقون معا فى سابع جد ٠٠ وان التشابه الاكيد فى تفاصيل البنية التشريحية للجميع يدل على أنهم جميعا أفراد أسرة واحدة ٠

قلت وأنا أستعد لمعركة علمية دسمة :

ـ دعنى أصحح معلوماتك أولا فأقول لك أن الله لم يخلق آدم على طريقة جلا جلا ٠٠ ها هنا قطعة طين ننفخ فيها فتكون آدم ٠٠ فالقرآن يروى قصة مختلفة تماما عن خلق آدم قصة يتم فيها الخلق على مراحل وأطوار وزمن الهى مديد والقرآن يقول ان الانسان لم يخرج من الطين مباشرة وانما خرج من سلالة جاءت من الطين ٠

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) ١٢ ـ المؤمنون
وان الانسان في البدء لم يكن شيئا يذكر :
(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ ـ الانسان

وان خلقه جاء على أطوار :
(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)
(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) ١١ ـ الأعراف
(واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)
٧١ ـ ٧٢ ـ ص

معنى ذلك أن هناك مراحل بدأت بالخلق ثم التصوير ‥ ثم التسوية ثم النفخ ‥ « وثم » بالزمن الالهى معناها ملايين السنين ٠
(ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) ٤٧ ـ الحج
انظر الى هذه المراحل الزمنية للخلق فى سورة السجدة ‥ يقول الله سبحانه انه :
(بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ السجدة
فى البدء كان الطين ثم جاءت سلالة من ماء مهين هى البدايات الاولى للانسان التى لم تكن شيئا مذكورا ثم التسوية والتصوير ثم نفخ الروح التى بها أصبح للانسان سمع وبصر وفؤاد ‥ وأصبح آدما ‥ فآدم اذن نهاية سلسلة من الاطوار وليس بدءا مطلقا على طريقة جلا جلا ٠
(والله انبتكم من الارض نباتا) ١٧ ـ نوح
هنا عملية انبات بكل ما فى الانبات من أطوار ومراحل وزمن ٠
ولكن اللغز الحقيقى هو ‥ ماذا كانت تلك المراحل بالضبط وماذا كانت تلك الاطوار ٠

هل كل شجرة الحياة من أب واحد ٠

هى كلها من الطين بحـــكم التركيب الكيميائى ٠٠ وكلها تنتهى بالموت الى أصلها الترابى ٠٠ هذه حقيقة ٠

ولكننا نقصد من كلمة أب شيئا أكثر من الاصل الطينى ٠

السؤال هو هل تولدت من الطين خلية أولى تعددت وأنجبت كل تلك الانواع والفصـــائل النباتية والحيوانية بما فى ذلك الانســـان ٠

أم أنه كانت هنـــاك بدايات متعددة ٠٠ بداية تطورت الى نباتات وبداية تطورت الى فرع من فروع الحيـــوان كالاســـفنج مثلا وبداية أخرى خرج منها فرع آخر كالاسماكوبداية خرجت منها الزواحف وبداية خرجت منها الطيور وبداية خرجت منها الثدييات وبداية خرج منها الانسان وبذلك يكون للانسان جد منفصل ويكون لكل نوع جد خاص به ٠

ان التشابه التشريحى للفروع والانواع والفصائل لا ينفى خروج كل نوع من بداية خاصـــة وانما يدل هـــذا التشابه التشريحى فى الجميع على وحدة الخالق وأن صانعها جميعا واحد لانه خلقها جميعا من خامة واحدة وبأسلوب واحد وبخطة واحدة هذه هى النتيجة الحتمية ٠٠ ولكن خروجها كلها من أب واحد ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحى ٠٠ فوسائل المواصلات تتشابه فيما بينها العربة والقطار والترام والديزل كلها تقوم على أسس هندســـية وتركيبية متشابهة دالة بذلك على أنها جميعا من اختراع العقل البشرى ٠٠ ولكن هذا لا يمنع أن كل صنف منها جاء من أب مستقل ومن فكرة هندسية مستقلة ٠

كما اننـــا لا يصح أن نقول ان عربة اليد تطورت تلقائيا بحكم القوانين الباطنة فيها الى عربة حنطور ثم الى عربة فورد ثم الى قطار ثم الى ديزل ٠٠ فالواقع غير ذلك ٠٠ وهو أن كل طور من هذه الاطوار جاء بطفرة ذهنية فى عقل المخترع وقفزة ابداع فى عقل المهنـــدس ٠٠ لم يخرج نوع من آخر مـــع أن الترتيب الزمنى قد يؤيد فكرة خروج نوع من نوع ٠٠ ولـــكن ما حدث كان غير ذلك فكل نوع جاء بطفرة ابداعية من العقل المخترع وبدأ مســـتقلا ٠

وهذه هي أخطاء داروين والمطبات والثغرات التي وقع فيها حينما صاغ نظريته .

ودعنا نتذكر معا ما قال داروين في كتابه «أصل الانواع» :

كان اول ما اكتشفه داروين أثناء رحلته بالسفينة بيجل هي الخطة التشريحية الواحـــدة التي بنيت عليها كل الفصـــائل الحيوانية .. فالهيكل العظمي واحد في أغلب الحيوانات الفقرية الذراع في القرد هو نفس الجناح في الطائر هــو نفس الجناح في الخفاش كل عظمة هنـــا تقابلها عظمة تناظرها هنـــاك مع تحورات طفيفة لتلائم الوظيفة فالعظام في الطيور رقيقة وخفيفة ومجوفة وهي مغطاة بالريش .. ثم نجد رقبة الزرافة الطويلة بها سبع فقرات ورقبة الانسان سبع فقرات ورقبة القنفذ التي لا تذكر من فرط قصرها هي الاخرى ســـبع فقرات وهنـــاك خمس أصابع في يد الانسان ونجد نفس التخميس في أصابع القرد والارنب والضفدعة والسحلية .. وفترة الحمل في الحوت والقرد والانسان تسعة أشهر وفترة الارضاع في الجميع سنتان وفقرات الذيل في القرد نجدها في الانسان متدامجة ملتصقة فيما يسمى بالعصعص ونجد عضـــلات الذيل قد تحورت في الانسان الى قاع متين للحوض .. ثم نجد القلب بغرفه الاربع في الحصان والحمار والارنب والحمامة والانســـان ونفس الخطة في تفرع الشرايين والاوردة .. ثم نجـــد نفس الخطـــة في الجهـــاز الهضمي ، البلعوم ثم المعدة ثم الاثنا عشر ثم الامعاء الدقيقة ثم الامعـــاء الغليظة ثم الشرج والجهـــاز التناسلي نفس الخصـــية والمبيض وقنوات الخصـــية وقنوات المبيض وكذلك الجهاز البولي نفس الكلية والحالب وحويصلة البول .. والجهاز التنفسي .. القصبة الهوائية والرئتين . ونجد أن الرئة في البرمائيات هي نفس كيس العوم في السمكة .

كان طبيعيا بعد هذا أن يتصور داروين أن الحيوانات كلها أفراد أسرة واحدة تفرقت بهم البيئات فتكيفت كل فصيلة مع بيئتها .. الحوت في المنطقة الجليدية لبس معطفا من الشحم .. والدببة لبست الفراء وانسان الغابة في الشمس الاستوائية

اسود جلده فاصبح كالمظلة الواقية ليقيه الشمس . وسحالى الكهوف ضمرت عيونها لانها لا تجد لها فائدة فى الظلام فاصبحت عمياء بينما سحالى البرارى نراها مبصرة . والحيوانات التى نزلت الماء طورت أطرافها الى زعانف والتى غزت الجو طورت أطرافها الى أجنحة وزواحف الارض طورت أطرافها الى أرجل .

ثم ألا يحكي الجنين القصة ففى مرحلة من مراحل نموه نراه يتنفس بالخياشيم ثم تضمر الخياشيم وتظهر فيه الرئتان وفى مرحلة نجد له ذيلا ثم يضمر الذيل ويختفى وفى مرحلة نراه يكتسى بالشعر ثم ينحسر بعد ذلك الشعر عن جسمه .

ثم ألا تحكي لنا طبقات الصخور بما حفظت لنا من حفريات قصة متسلسلة الحلقات عن ظهور واختفاء هذه الانواع الواحد بعد الآخر من الحيوانات البسيطة وحيدة الخلية الى عديدة الخلايا الى الرخويات الى القشريات الى الاسماك الى البرمائيات الى الزاحفات الى الطيور الى الثدييات .. وأخيرا الى الانسان .

ولقد أصاب داروين وابدع حينما وضع هذه المقدمة القيمة فى التشابه التشريحى بين الحيوانات وأصاب حينما قال بالتطور .

ولكنه أخطأ حينما حاول أن يفسر عملية الارتقاء وأخطأ حينما حاول أن يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفاصيله .

كان تفسير داروين لعملية الارتقاء أنه يتم بالعوامل المادية التلقائية وحدها .. حيث تتقاتل الحيوانات بالناب والمخلب فى صراع الحياة الدموى الرهيب فيموت الضعيف ويكون البقاء دائما للاصلح .. تلك الحرب الناشبة فى الطبيعة هى التى تفرز الصالح والقوى وتشجعه وتبقى على نسله وتفسح أمامه سبل الحياة .

واذا كانت هذه النظرية تفسر لنا بقاء الاقوى فانها لا تفسر لنا بقاء الاجمل .. فان الجناح المنقوش لا يمتاز بأى صلاحيات مادية أو معاشية عن الجناح الابيض . وليس أكفأ منه فى الطيران .

واذا قلنا ان الذكر يفضل الجناح المنقوش .. فى التزاوج

فسوف نسال ولماذا .. ما دام هـذا النقش لا يمثل أى مزيد من الكفـاءة .

واذا دخل تفضيل الاجمل فى الحسـاب فان النظرية المادية تنهار من أساسها .

وتبقى النظرية بعد ذلك عاجزة عن تفسـير لماذا خرج من عائلة الحمار شىء كالحصـان ولماذا خرج من عائلة الوعل شىء رقيق مرهف وجميل كالغزال .. مع أنه أقل قوة وأقل احتمالا كيف نفسر جناح الهدهد وريشة الطاووس وموديلات الفراش بألوانها البديعة ونقوشها المذهلة .. نحن هنا أمام يد مصور فنان ماهر يتفنن ويبدع .. ولسنا أمام عملية غليظة كصراع البقاء وحرب المخلب والناب .

والخطأ الثانى فى نظرية التطور جاء بعد ذلك من أصحاب نظرية الطفرة .

والطفرات هى الصـفات الجـديدة المفاجئـة التى تظهر فى النسل نتيجة تغيرات غـير محسـوبة فى عملية تزاوج الخليـة الانثوية والخلية الذكرية ولقاء الكروموسومات لتحديد الصفات الوراثيـة .

وأحيانا تكون هذه الصفات الجديدة صفات ضارة كالمسوخ والتشوهات وأحيـانا تكون طفرات مفيـدة للبيئة الجديدة للحيوان كأن تظهر للحيوان الذى ينزل الماء أرجل مبططة .. فتكون صفة جديدة مفيدة لان الارجل المبططة أنسب للسباحة فتشجع الطبيعة هذه الصفة وتنقلها الى الاجيال الجديدة وتقضى على الصـفة القديمـة لعدم صـلاحيتها وبذلك يحدث الارتقاء وتتطور الارجل العادية الى أرجل غشائية .

وخطأ هذه النظرية أنها أقامت التطور على أساس الطفرات والاخطاء العشوائية .. وأسقطت عملية التدبير والابداع تماما .

ولا يمكن أن تصلح هذه الطفرات العشوائية أساسا لما نرى حولنا من دقة وابداع واحكام فى كل شىء .

ان البعوضة تضع بيضها فى المستنقع .. وكل بيضة تأتى الى الوجود مزودة بكيسين للطفو .

من أين تعلمت البعوضة قوانين أرشميدس لتزود بيضها بهذه الاكياس الطافية ٠
وأشجار الصحارى تنتج بذورا مجنحة تطير مع الرياح أميالا وتنتشر فى مساحات واسعة بلا حدود ٠
من أين تعلمت أشجار الصحارى قوانين الحمل الهوائى لتصنع لنفسها هذه البذور المجنحة التى تطير مئات الاميال بحثا عن أراض ملائمة للانبات ٠
وهذه النباتات المفترسة التى تصطنع لنفسها الفخاخ والشراك الخداعية العجيبة لتتصيد الحشرات وتهضمها وتأكلها ٠
بأى عقل استطاعت أن تصطنع تلك الحيل ٠
نحن هنا أمام عقل كلى يفكر ويبتكر لمخلوقاته ويبدع لها أسباب الحيل ٠
لا يمكن تصور حدوث الارتقاء بدون هذا العقل المبدع ٠

(الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ٥٠ ـ طه

والعقبة الثالثة أمام نظرية داروين ٠٠ هى ما اكتشفناه الآن باسم الخريطة الكروموسومية ٠ أو خريطة الجينات ٠٠ ونحن نعلم الآن أن لكل نوع حيوانى خريطة كروموسومية خاصة به ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة الكروموسومية ٠
نخلص من هذا الى أن نظرية داروين تعثرت واذا كان التشابه التشريحى بين الحيوانات حقيقة متفقا عليها ٠
واذا كان التطور أيضا حقيقة ٠٠ الا أن مراحل هذا التطور وكيفياته ما زالت لغزا ٠
هل كانت هناك بدايات مستقلة أم أن بعض الفروع تلتقى عند أصول واحدة ٠
والتطور وارد باللفظ الصريح في القرآن ٠٠ كما أن مراحل الخلق والتصوير والتسوية ونفخ الروح واردة ٠
ولكن لم يستقر العلم على نظرية ثابتة لتلك المراحل بعد ٠٠ واذا عدنا لسورة السجدة التى تحكى عن الله أنه :

(بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ السجدة

فان معنى الآية صريح في أن البدايات الاولى للانسان التى جاء منها آدم فيما بعد وهي تلك التى جاء نسلها من ماء مهين٠٠ لم يكن لها سمع ولا أبصار ولا أفئدة ٠

وانما جاءت هذه الابصار والاسماع والافئدة بعد نفخ الروح وهي آخر مراحل خلق آدم ٠

هي اذن بدايات أشبه بالحياة الحيوانية المتخلفة ٠

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ ـ الانسان

ولا أظن أن هذا يختلف عن العلوم التى تتحدث عنها ٠

والحقيقة بعد هذا ما زالت لغزا ٠٠ ولا يستطيع أحــــد أن يدعى أنه كشف الحقيقة ٠٠ وقد يكون ماحدث شيئا غير كــل ما قلنا وغير كل ما تصور العلماء والسؤال مازال مفتوحا للبحث وكل ما جاء به العلم فروض ٠



كلمة

لا إله إلا الله

قال صاحبي :

ـ ألست معي في أنكم تبالغون كثيرا في استخدام كلمة لا اله الا الله وكأنها مفتاح لكل باب ·· تشيعون بها الميت وتستقبلون الوليد وتطبعونها على الاختام وتنقشونها على القلائد وتصكون بها العملات وتعلقونها على الجدران · من ينطق بها منكم تقولون ان جسمه اعتق من النار ·· فاذا نطق بها مائة الف مرة دخل الجنة وكأنها طلسم سحرى أو تعويذة لطرد الجن أو قمقم لحبس المردة ·· ثم هذه الحروف التى لا تعرفون لها معنى ·· أ · ل · م · كهيعص ·· طسم ·· حم ·· الر ·

هل أنجو من العذاب اذا قلت لا اله الا الله · اذن فانى اقولها واشهدك واشهد الحضور على ذلك ·· لا اله الا الله ·· هل انتهى الامر ·

ـ بل لم تقل شيئا ·

ان لا اله الا الله لمن يعمل بها وليست لمن يشقشق بها لسانه لا اله الا الله منهج عمل وخطة حياة وليست مجرد حروف ·· ودعنا نفكر قليلا في معناها ·· اننا حينما نقول لا اله الا الله نعنى

انه لا معبود الا الله وبين لا والا بين النفي والاثبات في العبارة بين هاتين الدفتين تقع العقيدة كلها لا النافية تنفي الالوهية عن كل شيء .. عن كل ما نعبد من مشتهيات في الدنيا .. عن المال والجاه والسلطان واللذات وترف العيش والنساء الباهرات والعز الفاره .. لكل هذا نقول لا .. لا نعبدك .. لست الها .. ثم نقول لا لنفوسنا التي تشتهي تلك الاشياء لان الانسان يعبد نفسه في العادة ويعبد رأيه ويعبد هواه واختياره ومزاجه ويعبد ذكاءه ومواهبه وشهرته ويتصور أن بيده مقاليد الامور وأقدار الناس والمجتمع .. ويجعل من نفسه الها دون أن يدرى .. لهذه النفس نحن نقول لا .. لا نعبدك .. لست الها .

نقول « لا » ـ للمدير والرئيس والحاكم .. لا لست الها .

ومعنى كلمة « اله » أى « فاعل » .. والفاعل بحق عندنا هو الله ، أما كل هذه الاشياء فوسائط وأسباب . المدير والوزير والرئيس والمال والجاه والسلطان والنفس بذكائها ومواهبها .. لكل هذا نقول لا .. لست الها .

« الا » ـ واحد نستثنيه ونثبت له تلك الفاعلية والقدرة هو الله .

وبين لا والا بين هذا النفي وهذا الاثبات تقع العقيدة كلها فمن كان مشغولا بجمع المال وتكديس الثروات وتملق السلطان والتزلف للرؤساء وتحرى اللذات واتباع هوى نفسه وتعشق رأيه والتعصب لوجهة نظره .. فهو لم يقل لا لكل هذه المعبودات وهو ساجد في محرابها دون أن يدرى وحينما يقول لا اله الا الله فهو يقولها كاذبا .. يقول بلسانه مالا يفعل بيديه ورجليه .

ومعنى « لا اله الا الله » انه لا حسيب ولا رقيب الا الله .. هو وحده الجدير بالخشية والخوف والمراقبة .. فمن كان يخاف المرض ومن كان يخاف الميكروب ومن كان يخاف عصا الشرطي وجند الحاكم فانه لم يقل « لا » .. لكل تلك الآلهة الوهمية .. وانما هو ما زال ساجدا لها وقد اشرك مع خالقه كل تلك الالهة

المزيفة .. فهو كاذب في كلمة « لا اله الا الله » .

ومعنى ذلك أن « لا اله الا الله » عهد ودستور ومنهج حياة .
والمقصود بها .. العمل بها .

فمن عمل بها كانت له طلسما بالفعل يفتح له كل الابواب العصية .. وكانت نجاة في الدنيا والآخرة ومدخلا الى الجنة .

أما نطق اللسان بدون تصديق القلب وعمل الجوارح .. فانه لا يغني .

و « لا اله الا الله » تعني أكثر من هذا موقفا فلسفيا .

يقول الدكتور زكي نجيب محمود ان « **شهادة لا اله الا الله** » تتضمن الاقرار بثلاث حقائق .. أن الشاهد موجود والمشهود موجود . والحضور الذين تلقى أمامهم الشهادة موجودون أيضا أي أنها اقرار صريح بأن الذات والله والآخرين لهم جميعا وجود حقيقي .

وبهذا يرفض الاسلام الفلسفة المثالية كما يرفض الفلسفة المادية في ذات الوقت .. يرفض اليمين واليسار معا ويختار موقفا وسطا .

يرفض المثالية الفلسفية .. لان المثالية الفلسفية لا تعترف بوجود الآخرين ولا بوجود العالم الموضوعي كحقيقة خارجية مستقلة عن العقل .. وانما كل شيء في نظر الفلسفة المثالية يجري كأنه حلم في دماغ .. أو أفكار في عقل .. أنت والراديو والشارع والمجتمع والصحيفة والحرب كلها حوادث ومرائي وأحلام تجري في عقلي .. لا وجود حقيقي للعالم الخارجي .

وهذا الموقف المثالي المتطرف يرفضه الاسلام وترفضه الشهادة لانها كما قلنا اقرار صريح بأن الشاهد والمشهود والحضور الذين تلقى أمامهم الشهادة أي الذات والله والآخرين حقائق مقررة .

كما يرفض الاسلام أيضا الفلسفة المادية لان الفلسفة المادية تعترف بالعالم الموضوعي ولكنها تنكر ما وراءه .. تنكر الغيب والله .

والاسلام بهذا يقدم فلسفة واقعية وفكرا واقعيا فيعترف بالعالم الموضوعى ثم يضيف الى هـذا العالم كل الثراء الذى يتضمنه الوجود الالهى الغيبى .. ويقدم تركيبا جدليا جامعا بين فكر اليمين وفكر اليسار فى فلسفة جامعة ما زالت تتحدى كل اجتهاد المفكرين فتسبق ما سطروا من نظريات ظنية لا تقوم على يقين .

شهادة « لا اله الا الله » تعنى اذن منهج حياة وموقفا فلسفيا .

ولهذا فانت تكذب وأنت الرجل المادى الذى اخترت موقفا فلسفيا ماديا وأنت تنطق بالشهادة كذبتين :

الكذبة الاولى ـ أنك تشهد بما ينافى فلسفتك .

والكذبة الثانية ـ أنك لا تعمل بهذه الشهادة فى حياتك قدر خردلة ..

أما حكاية ا . ل . م . وكهيعص . حم . ألر .. فدعنى أسألك .. وما حكاية س ص ولوغاريتم ومعادلة الطاقة ط = ك × س٢ وهى ألغاز وطلاسم بالنسبة لمن لا يعرف شيئا فى الحساب والجبر والرياضيات .. وعند العالمين لها معانى خطيرة .

كذلك هذه الحروف حينما يكشف لنا عن معناها .

قال صاحبى فى سخرية :

ـ وهل كشف لك عن معناها ؟.

قلت وأنا ألقى بالقنبلة :

ـ هـذا موضوع مثير يحتاج الى كلام آخر طويل سوف يدهشك .

• كهيعص

قلت لصديقى الملحد : •

ـ لا شك أن هـــذه الحروف المقطعة فى أوائل السور قد صدمتك حينما طالعتها لأول مرة •• هذه ال حم طسم أ ل م كهيعص •• ق •• ص •• ترى ماذا قلت لنفسك وأنت تقرأها؟
اكتفى بأن يمط شفتيه فى لامبالاة ويقول فى غمغمة مبتورة:
ـ يعنى •
ـ يعنى ماذا •
ـ يعنى •• أى كلام يضحك به النبى عليكم •
ـ حسنا دعنا نختبر هذا الكلام الذى تدعى أنه كلام فارغ والذى تصورت أن النبى يضحك به علينا •

ودعنا نأخذ ســورة صغيرة بسيطة من هــذه الســور •• سورة ق مثــلا •• ونجرى تجربة •• فنعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها ٥٧ قافا •• ثم نأخــذ الســـورة التالية وهى سورة الشورى وهى ضعفها فى الطول وفى فواتحها حرف ق أيضا •• وسنجد أن فيها هى الأخرى ٥٧ قافا •

هل هى صدفة •• لنجمع ٥٧ + ٥٧ = ١١٤ عدد سور

القرآن ٠٠ هل تذكر كيف تبدأ سورة ق ٠٠ وكيف تختتم ٠٠ في بدايتها « ق والقرآن المجيد » ٠٠ وفي ختامها ٠٠ « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ٠٠ وكأنما هي اشارات بأن ق ترمز للقرآن ٠٠ « ومجموع القافات ١١٤ وهي مجموع سور القرآن » ٠

قال صاحبي في لامبالاة :

ـ هذه أمور من قبيل الصدف ٠

قلت في هدوء :

ـ سنمضى في التجربة ونضع سور القرآن في العقل الالكتروني ونسأله ان يقدم لنا احصائية بمعدلات توارد حرف القاف في جميع السور ٠

قال وقد توترت اعصابه وتيقظ تماما :

ـ وهل فعلوها ؟

قلت في هدوء :

ـ نعم فعلوها ٠

ـ وماذا كانت النتيجة ٠

ـ قال لنا العقل الالكتروني ان أعلى المتوسطات والمعدلات موجودة في سورة ق وان هذه السورة قد تفوقت حسابيا على كل المصحف في هذا الحرف ٠٠ هل هي صدفة أخرى ٠

ـ غريب ٠

ـ وسورة الرعد تبدأ بالحرف ا ل م ر قدم لنا العقل الالكتروني احصائية بتوارد هذه الحروف في داخل السور كالآتي :

ا ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٣٧ مرة

هكذا وفي ترتيب تنازلي ا ثم ل ثم م ثم ر بنفس الترتيب الذي كتبت به ا ل م ر تنازليا ثم قام العقل الالكتروني باحصاء

معدلات توارد هـذه الحروف في المصحف كله ٠٠ وألقى الينا بالقنبلة الثانية ٠٠ أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هي في سورة الرعد ٠٠ وان هذه السورة تفوقت حسابيا في هذه الحروف على جميع المصحف ٠

نفس الحكاية في ا ل م البقرة ٠

ا وردت ٤٥٩٢ مرة

ل وردت ٣٢٠٤ مرات

م وردت ٢١٩٥ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ا ل م ٠

ثم يقول لنا العقل الالكتروني أن هـذه الحروف الثلاثة لها تفوق حسابي على باقي الحروف في داخل سورة البقرة ٠

نفس الحكاية في ا ل م سورة آل عمران ٠

ا وردت ٢٥٧٨ مرة

ل وردت ١٨٨٥ مرة

م وردت ١٢٥١ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ا ل م وهي تتوارد في السـورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف ٠

نفس الحكاية ا ل م سورة العنكبوت ٠

ا وردت ٧٨٤ مرة

ل وردت ٥٥٤ مرة

م وردت ٣٤٤ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ا ل م وهي تتوارد في السـورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف ٠

نفس الحكاية في ا ل م سورة الروم ٠

ا وردت ٥٤٧ مرة

ل وردت ٣٩٦ مرة

م وردت ٣١٨ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ا ل م ثم هي تتوارد في السـورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف ٠

وفي جميـع السور التي ابتدأت بالحروف ا ل م نجد أن السور المكية تتفوق حسـابيا في معدلاتها على باقي السـور

المكية ، والمدنية تتفوق حسابيا فى معدلاتها من هــذه الحروف على باقى السور المدنية •
وبالمثل فى ا ل م ص سورة الاعراف •
يقول لنا العقل الالكترونى أن معدلات هــــذه الحروف هى أعلى ما تكون فى سورة الاعراف ، وأنها تتفوق حسابيا على كل السـور المكية فى المصـحف •
وفى سورة طه نجد أن الحرف ط والحرف هـ يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية •• وكذلك فى كهيعص مريم ترتفع معدلات هـــذه الحروف على كل السور المكية فى المصـحف •
كما نجد أن جميع السور التى افتتحت بالحروف حم •• اذا ضمت الى بعضها فان معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على كل السور المكية فى المصحف •
وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والاعراف « ا ل م ص » ويلاحظ أنهمـا نزلتـا متتابعتين فى الوحى •• اذا ضمتا معا تفوقتا حسابيا فى هذه الحروف على باقى المصـحف •
وكذلك السـور التى افتتحت بالحروف ا ل ر وهى ابراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر وأربع منها جاءت متتابعة فى تواريخ الوحى •• اذا ضـمت لبعضـهـا •• أعطانا العقل الالكترونى أعلى معـدلات فى نسـبة توارد حروفها ا ل ر على كل السـور المكية فى المصـحف •
أما فى سـورة يس فاننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست •• لان ترتيب الحروف انعكس ، فالياء فى الاول يس « بعكس الترتيب الابجدى » •
ولهذا نرى أن توارد الحرف ى والحرف س فى السورة هو أقل من تواردة فى جميع المصحف مدنيا ومكيا •
فالدلالة الاحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست •
كان صاحبى قد سكت تماما •
قلت وأنا أطمئنه :
ــ أنا لا أقول هذا الكلام من عند نفسى وانما هى دراســة

قام بها عالم مصرى فى أمريكا هو الدكتور رشـاد خليفة ٠٠
وهذا الكتاب الذى بين يديك يقدم لك هذه الدراسة مفصلة ٠

Miracle of the Quran

Islamic Productions international in St. Louis mo

وقدمت اليه كتابا انجليزيا مطبوعا فى امريكا للمؤلف ٠
أخذ صاحبى يقلب الكتاب فى صمت ٠
قلت :
ـ لم تعد المسألة صدفة ٠٠ وانما نحن أمام قوانين محـكمة وحروف محسوبة كل حرف وضع بميزان ورحت أتلو عليـه من سـورة الشـورى ٠
(الله الذى انزل الكتاب بالحـق والميزان) ١٧ ـ الشورى
وأى ميزان ٠٠ نحن هنا أمام ميزان يدق حتى يزن الشعرة والحرف ٠٠ أظن أن فـكرة النبى الذى يؤلف القـرآن ويقول لنفسـه سلفا سوف أؤلف سـورة الرعد من حروف ا ل م ر وأورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقى الكتاب وهو لم يؤلف بعد الكتاب مثل هذا الظن لم يعـد جائزا ٠٠ وأين هذا الذى يحصى له هذه المعدلات وهى مهمة لا يستطيع أن يقوم بها الا عقل الكترونى ولو تكفل هو بها فانه سيقضى بضع سنين ليحصى الحروف فى سورة واحـدة يجمع ويطرح بعلوم عصره وهو لايعرف حتى علوم عصره وهل سيؤلف أو يشتغل عـدادا للحروف ٠
نحن هنـا أمام استحالة ٠
فاذا عرفنا أن القرآن نزل مفرقا ومقطعا على ٢٣ سـنة ٠٠ فانا سوف نعرف أن وضع معدلات احصائية مسبقة بحروفه هى استحالة أخرى ٠٠ وأمر لا يمكن أن يعرفه الا العليم الذى يعلم كل شىء قبل حدوثه والذى يحصى بأسرع وادق من كل العقول الالكترونيـة ٠٠ الله الذى أحاط بكل شىء علما ٠٠ وما هذه الحروف المقطعة فى فواتح السور الا رموز علمه بثها

فى تضاعيف كتابه لنكتشفها نحن على مدى الزمان .

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ٥٣ فصلت

ولا أقول ان هذه كل أسرار الحروف .. بل هى مجرد بداية لا أحد يدرى الى أى آفاق سوف توصلنا .

وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفى نفيا باتا شبهة التأليف .

ثم هى تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل حرف فلا يجرؤ احدنا أن يقول انه أمام .. أى كلام .. الا ترى يا صاحبى أنك أمام كلام لا يمكن أن يكون أى كلام .

ولم يجب صاحبى ، وانما ظل يقلب الكتاب الانجليزى ويتصفحه ثم يعود فيقلبه دون أن ينطق بحرف .



• المعجزة

قال صاحبى :

ـ لا افهم كيف يجوز للرب الرحيم الذى تصفونه بانه رءوف ودود كريم عفو غفور ·· كيف يمكن لهذا الرب أن يأمر نبيه الخليل المقرب ابراهيم بأن يذبح ولده ·· ألا ترى معى أن هذه مسألة صعبة التصديق ؟ ·

ـ القصة تدل من سياقها وأحداثها على أن مراد الله من ابراهيم لم يكن ذبح ابنه بدليل أن الذبح لم يحدث ·· وانما كان المراد أن يذبح ابراهيم شغفه الزائد بابنه ومحبته الزائدة لابنه وتعلقه الزائد بابنه ·· اذ لا يجوز أن يكون فى قلب النبى تعلق بغير الله ·· لا دنيا ولا ولد ولا جاه ولا سلطان ·· كل هذه الامور لا يصح أن يتعلق بها قلب النبى ·· وكما هو معلوم كان اسماعيل قد جاء لأبيه ابراهيم على كبر وعلى شيخوخة ·· فشغف به الشيخ وتعلق به ·· فجاء امتحان الله لنبيه ضروريا ·· وما حدث فى القصة يدل على سلامة هذا التفسير ·· فما ان صدع النبى لأمر ربه واشرع سكينه ليذبح ولده حتى جاء أمر السماء بالفداء ·

ـ وما رايك في معجزات ابراهيم العجيبة ودخـوله النـار دون أن يحترق .. وما فعله موسى من بعده حينما أخرج من عصاه ثعبانا ثم حينما شق بهذه العصا البحر ثم حينما أخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء .. الا تبدو هـــذه الامور وكأنها عرض بهلواني في سيرك .. وكيف يدلل الله على قدرته وعظمته بهذه البهلوانيات التي هي في حـد ذاتها .. صنوف من اللامعقول .. وأمثـلة من خرق النـــظام .. ألا يبدو أن البرهان الاقوى على عظمة الله هو النـــظام والعقل والانضباط والقوانين في سريانها الجميل في الكون دون أن تخرق .

ـ لقد فهمت المعجزة خطأ .. وتصورتها خطأ .

المعجزة في تصورك عمل بهلواني وخرق للقانون ولا معقول ولـكن الحقيقة غير ذلك .

ودعني أقرب الموضوع الى ذهنك بمثل .. لو أنه قدر لك أن تعود ثلاثة آلاف سنة الى الوراء ثم تدخل على فرعون مصر في ذلك الزمن البائد ومعك ترانزستور في حجم علبة الثقاب يتكلم ويغني من تلقاء نفسه .. ترى ماذا سيكون حال فرعون وحاشيته ـ سيهتفون في ذهول بلا شك معجزة .. سحر .. لا معقول .. خرق لجميع القوانين .. ولكننا نعـــلم الآن انه لا اعجاز في الموضوع ولا سحر ولا خرق لأي قانون .. بل ان ما يحدث في داخل الترانزستور هو أمر يجرى حسب قوانين في علم الالكترونيات .. وانه معقول تماما . وسيكون الامر أعجب لو أنك دخلت على ملك بابل وفي يدك تليفزيون ينقل الصور من بلاد الروم .. وسوف يصفق ملك آشور عجبا لو أنك أدرت له أسطوانة بلاستيك فتكلمت .

بل ان التـاريخ ليحفظ لنـــا قصـــــة مماثلة حينما نزل المستعمرون افريقيا .. وحطت أول طائرة لهم في الغابة وسط البدائيين .. ماذا حدث .. سجد الزنوج العراة على وجوههم ودقوا الطبول وذبحوا القرابين وظنوا أن الله نزل من سماواته وتصوروا فيما حدث خرقا لجميع القوانين .. مع إننا نعلم الآن أن الطائرة تطير بقانون وتنزل بقانون وأنها مصـــممة حسب

القوانين الهندسية المحكمة .. وان طيرانها أمر معقول تماما ـ وانها لا تخرق قانون الجاذبية .. وانما تتجاوز هذا القانون بقانون آخر هو قانون الفعل ورد الفعل ، نحن اذن أمام تفاضل قوانين وليس أمام خرق قوانين .. والماء يصعد في ساق النخلة ضد الجاذبية ليس بخرق هذه الجاذبية وانما بمجموعة قوانين فسيولوجية تتفاضل معها .. هي قانون تماسك العمود المائي وقانون الخاصة الشعرية وقانون الضغط الازموزي .. وهي جميعها قوانين تؤدي الى شد الماء الى أعلى .

نحن دائما لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول وما حدث لم يكن بهلوانيات .. وانما كانت دهشة الزنوج البدائيين مردها جهلهم بهذه القوانين .. وكذلك دهشتك أمام شق موسى للبحر واخراجه للثعبان من العصا واحياء عيسى للموتى ودخول ابراهيم للنار دون أن يحترق .. تصورت أنها لا معقول وخرق للقوانين وبهلوانيات .. بينما هي تجرى جميعها على وفاق قوانين الهية تتفاضل مع القوانين التي نعرفها .. وهي اذن صنوف من النظام .. ومن المعقول .. ولكن أعلى من مداركنا والله لا يهدم النظام بهذه المعجزات وانما يشهدنا على نظام أعلى وقوانين أعلى وعقل أكبر من استيعابنا .

وقد وقع البهائيون في نفس غلطتك حينما رفضوا المعجزات وتصوروا أن قبولها فيه امتهان للعقل وازدراء بالعقل فتحايلوا على القرآن وحرفوا معانيه عن ظاهرها فموسى لم يشق البحر بعصاه .. وانما كانت عصاه هي الشريعة التي فرقت الحق من الباطل وبالمثل كانت يده البيضاء هي رمز ليد الخير .. وبالمثل أحيا عيسى النفوس ولم يحي الاجساد .. وفتح العقول ولم يفتح العيون العمياء .. وبهذا أخرجوا القرآن عن معانيه الحرفية الى تأويلات وتفسيرات مجازية ورمزية كلما اصطدموا بشيء لم يعقلوه .

وكان هذا لانهم أخطأوا فهم المعجزة وتصوروا أنها لا معقول وخرق للقانون وهدم للنظام .. وهو نفس ما وقعت فيه .

والحق أننا نعيش في عصر لم تعد تستغرب فيه المعجزات .

ولقد رأينا العـــلم يأخذ بيدنا الى سطح القمر • واذا كان العلم البشرى أعطانا كل هذا السلطان ، فالعلم الالهى اللدنى لا شك يمكن أن يمدنا بسلطان أكبر •

استمع الى هذه الآية الجميلة :

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار الســـماوات والارض فانفذوا •• لا تنفذون الا بســـلطان)

٣٣ ــ الرحمــن

وهــذا هــو السلطان •• العلم البشرى •• وأعظم منــه العـــلم الالهى •



● معنى الديـن

قال صاحبي :

ـ اسمع .. اذا كانت عندكم جنة كما تقولون .. فأنا أول واحد سوف يدخلها فأنا أكثر دينا من كثـير من دعاتكم من أصحاب اللحى والمسابح اياهم .

ـ أكثر دينا .. ماذا تعنى بهذا .

ـ أعنى أنى لا أوذى أحـدا ولا أسرق ولا أقتل ولا أرتشى ولا أحسد ولا أحقد ولا أضمر سوءا لمخلوق ولا أنوى الا الخير ولا أهدف الا الى النفع العام .. أصحو وأنام بضمير مستريح وشعار حياتى هو الاصلاح ما استطعت .. اليس هذا هو الدين ألا تقولون عندكم أن الدين المعاملة .

ـ هذا شىء له اسم آخر .. اسمه حسن السير والسلوك .. وهو من مقتضيات الدين ولكنه ليس الدين .. انك تخلط بين الدين وبين مقتضياته .. والدين ليس له الا معنى واحد هـو معرفة الاله .. أن تعرف الهك حق المعرفة ويكون بينك وبين هذا الاله سلوك ومعاملة ... أن تعرف الهك عظيما جليلا قريبا مجيبا يسمع ويرى فتدعوه راكعا ساجدا خاشعا خشوع العبد

للرب .. هذه المعاملة الخاصة بينك وبين الرب هي الدين .. اما حسن معاملتك لاخوانك فهي من مقتضيات هذا التدين وهي في حقيقة الامر معاملة للرب أيضا .

يقول نبينا عليه الصلاة والسلام :

« ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل » .

فمن أحب الله أحب مخلوقاته وأحسن اليها .. أما اذا اقتصرت معاملاتك على الناس لا تعترف الا بهم ولا ترى غيرهم ولا ترى غير الدنيا فأنت كافر تماما وان احسنت السير والسلوك مع هؤلاء الناس .. انما يدل حسن سيرك وسلوكك على الفطانة والكياسة والسياسة والطبع اللبيب وليس على الدين . فأنت تريد أن تكسب الناس لتنجح في حياتك وحسن سيرك وسلوكك ذريعة الى كسب الدنيا فحسب .. وهذه طباع أكثر الكفار أمثالك .

ـ صدقني أنا أشعر أحيانا بأن هناك قوة .

ـ قوة ..!

ـ نعم ثمة قوة مجهولة وراء الكون . أنا أومن تماما بأن هناك قوة .

ـ وما تصورك لهذه القوة .. اتتصورها كائنا يسمع ويرى ويعقل ويتعهد مخلوقاته بالرعاية والهداية وينزل لهم الكتب ويبعث لهم الرسل ويستجيب لصرخاتهم وتوسلاتهم .

ـ بصراحة أنا لا أصدق هذا الكلام ولا أتصوره وأكثر من هذا أراه ساذجا لا يليق بهذه القوة العظيمة .

ـ اذن فهي قوة كهرمغنطيسية عمياء تسوق الكون في عبثية لا خلاق لها .. وهذه هي الصفة التي تليق بقوتك العظيمة .

ـ ربما .

ـ بئس ما تصورت الهك .. خلق لك البصر فتصورته أعمى .. وخلق لك الرشد فتصورته عابثا أخرق .. والله انك الكافر بعينه ولو أحسنت السير والسلوك مدى الدهر .. وان أعمالك الصالحة مصيرها الاحباط يوم الحساب وأن تتبدد هباء منثورا .

ـ ألا يكون هذا ظلما ·

ـ بل هو عين العدل ·· فقد تصورت هذه الاعمال من ذاتك ليس وراءها الهادي الذي هداك والرشيد الذي أرشدك ·· فظلمت الهك وأنكرت فضله وهذا هو الفرق بين طيبات المؤمن وطيبات الكافر اذا استوى الاثنان في حسن السير والسلوك الظاهر ·· فكلاهما قد يبني مستشفى لعلاج المرضى ·· فيقول الكافر ·· أنا بنيت هذا المستشفى العظيم للناس ·

ويقول المؤمن : وفقني ربي الى بناء هذا المستشفى للناس · وما كنت الا واسطة خير ·· وما أكبر الفرق ·· واحد أسند الفضل لصاحب الفضل ولم يبق لنفسه فضلا الا مجرد الوساطة وحتى هذه يشكر عليها الله ويقول أحمدك يا ربي أن جعلتني سببا ·· فارق كبير بين الكبرياء والتواضع ·· وبين العلو وخفض الجناح ·· بين الجبروت والوداعة ·· ولهذا فأنتم في ديانتكم الوثنية لهذه القوة الكهرمغنطيسية العمياء لا تصلون ولا تسجدون ·

ـ ولماذا نصلي ولمن نصلي ·· اني لا أرى لصلاتكم هذه أي حكمة ·· ولماذا كل تلك الحركات أما كان يكفي الخشوع ·

ـ حكمة الصلاة أن يتحطم هذا الكبرياء المزيف الذي تعيش فيه لحظة سجودك وملامسة جبهتك التراب وقولك بلسانك وقلبك : « سبحان ربي الاعلى » ·· وقد عرفت مكانك أخيرا وانك أنت الادنى وهو الاعلى ·· وانك تراب على التراب وهو ذات منزهة من فوق سبع سماوات ·

أما لماذا الحركات في الصلاة ولماذا لا نكتفي بالخشوع القلبي فاني أسألك بدوري ولماذا خلق لك الجسد أصلا · ولماذا لا تكتفي بالحب الشفوي فتريد أن تعانق وتقبل ·· لماذا لا تكتفي بالكرم الشفوي فتجود باليد والمال ·· بل خلق الله لك الجسد ليفضح قلبك ·· فما كان في قلبك بحق فاض على جسدك اذا كان خشوعك صادقا فاض على جسدك فركعت وسجدت ·· وان كان خشوعك زائفا لم يتعد لسانك ·

ـ هل تعتقد أنك ستدخل الجنة ·

ـ كلنا سنرد النار ثم ينجى الله الذين اتقوا ، ولا أعرف هل اتقيت أم لا . يعلم هذا علام القلوب وكل عملى للاسف حبر على ورق .. وقد يسلم العمل ولا تسلم النية .. وقد تسلم النية ولا يسلم الاخلاص .. فيظن الواحد منا أنه يعمل الخير لوجه الله وهو يعمله للشهرة والدنيا والجاه بين الناس .. وما أكثر ما يخدع الواحد منا فى نفسه ويدخل عليه التلبيس وحسن الظن والاطمئنان الكاذب من حيث لا يدرى .. نسأل الله السلامة .

ـ وهل يستطيع الانسان أن يكون مخلصا ؟

ـ لا يملك ذلك من تلقاء نفسه وانما الله هو الذى يخلص القلوب ولهذا يتكلم القرآن فى اكثر الآيات عن المخلصين ـ بفتح اللام ـ وليس المخلصين بكسر اللام . ولكن الله وعد بأن « يهدى اليه من ينيب » أى كل من يؤوب ويرجع اليه .. فعليك بالرجوع اليه .. وعليه الباقى .



● فزنا بسعادة الدنيا وفزتم بالأوهام

قال صاحبى ٠٠ وكانت فى نبرته فرحة رجل منتصر :

ـــ مهما اختلفنا ومهما طال بنا الجدل فلا شك أننا خرجنا من معركتنا معكم منتصرين فقد فزنا بسعادة الدنيـا وخرجتم أنتم ببضعة أوهام فى رؤوسـكم ٠٠ وماذا يجدى الكلام وقد خرجنا من الدنيـا بنصيب الاسد ٠٠ فلنا السهرة والسـكرة والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التى لا يعكرها خوف الحرام ٠٠ ولكم الصيام والصلاة والتسابيح وخوف الحساب ٠٠ من الذى ربح ٠

ـــ هذا لو كان ما ربحتموه هـو السعادة ٠٠ ولـكن لو فكرنا معا فى هدوء لما وجدنا هـذه الصورة التى وصفتها عن السهرة والسكرة والنسـاء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التى لا يعكرها خوف الحرام ٠٠ لمـا وجدنا هـذه الصـورة الا الشقاء بعينه ٠

ـــ الشـقاء ٠٠ وكيف ؟

ـــ لانها في حقيقتها عبودية لغرائز لا تشـبع حتى تجوع واذا اتخمتها أصـابها الضجر والملال وأصـابك أنت البلادة والخمول .. هل تصـلح أحضـان امرأة لتكون مستقر سعادة والقلوب تتقلب والهوى لا يسـتقر على حال والغواني يغرهن الثناء .. وما قرأنا في قصص العشاق الا التعاسة فاذا تزوجوا كانت التعاسـة أكبر وخيبة الامل أكبر لان كلا من الطرفين سوف يفتقد في الآخر الكمال المعبـود الذى كان يتخيله .. وبعد قضاء الوطر وفتور الشهوة يرى كل واحد عيوب الآخـر بعدسة مكبرة .. وهل الثراء الفاحش الا عبودية اذ يضع الغنى نفسه في خدمة أمواله وفي خدمة تكثيرها وتجميعها وحراستها فيصبح عبدها بعد أن كانت خادمتـه .. وهل السلطة والجاه الا مزلق الى الغرور والكبر والطغيان .. وهل راكب السلطان الا كراكب الأسد يوما هو راكبه ويوما هو مأكوله .. وهـل الخمر والسكر والمخدرات والقمار والعربدة والجنس بعيدا عن العيون وبعيدا عن خوف الحرام سعادة .. وهل هي الا أنواع من الهروب من العقل والضـمير وعطش الروح ومسـئولية الانسان بالاغراق في ضرام الشـهوة وسـعار الرغبات .. وهل هـو ارتقاء أم هبوط الى حيـاة القرود وتسافد البهائم وتناكح السوائم .. صدق القرآن اذ يقول عـن الكفـار .. أنهـم :

(يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم)

١٢ ـ محمد

فهو لم ينكر أنهم يتمتعون ولكن كما تتمتع الانعام ـ وكما ترعى السوائم .. وهل هذه سعادة ـ وهل حياة الشهوة تلك الا سـلسلة من الشبق والتوترات والجـوع الآكال والتخمة الخانقة لا تمت الى السعادة الحقة بسبب .. وهل تكون السعادة الحقة الا حالة من السلام والسكينة النفسية والتحرر الروحي من كافة العبوديات .. وهل هي في تعريفها النهائي الا « حالة صلح بين الانسـان ونفسه وبين الانسـان والآخرين وبين الانسان والله » .. وهذه المصالحه والسـلام والامن النفسى

لا تتحقق الا بالعمل .. بأن يضع الانسان قوته وماله وصحته في خدمة الآخرين وبأن يحيا حياة الخير والبر نية وعملا وأن تتصل العلاقة بينه وبين الله صلاة وخشوعا فيزيده الله سكينة ومددا ونورا .. وهل هذه السعادة الا الدين بعينه .. ألم يقل الصوفي لابس الخرقة .. نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .. والذين عرفوا تلك اللذة .. لذة الصلة بالله والصلح مع النفس .. يعلمون أن كلام الصوفي على حق .

ــ ألم تكن مثلنا من سنوات تسكر كما نسكر وتلهو كما نلهو وتسعد هذه السعادة الحيوانية التي نسعدها وتكتب الكفر بعينه في كتابك الله والانسان فتسبق به الحاد الملاحدة فماذا غيرك من النقيض الى النقيض .

ــ سبحانه يغير ولا يتغير .

ــ أعلم أنك تقول أن كل شيء بفضل الله .. ولكن ماذا كان دورك .. وماذا كان سعيك ؟.

ــ نظرت حولي فرأيت أن الموت ثم التراب نكتة وعبثا وهزلا ورأيت العالم حولي كله محكما دقيقا منضبطا لا مكان فيه للهزل ولا للعبث .. ولو كانت حياتي عبثا كما تصور العابثون ونهايتها لا شيء .. فلماذا أبكي ولماذا أندم ولما أتحرق وألتهب شوقا الى الحق والعدل وافتدى هذه القيم بالدم والحياة .

رأيت النجوم تجري في أفلاكها بقانون .. ورأيت الحشرات الاجتماعية تتكلم والنباتات ترى وتسمع وتحس .. ورأيت الحيوانات لها أخلاق .. ورأيت المخ البشري عجيبة العجائب يتألف من عشرة آلاف مليون خط عصبي تعمل كلها في وقت واحد في كمال معجز . ولو حدث بها عطل هنا أو هناك لجاء في اثره الشلل والعمى والخرس والتخليط والهذيان وهي أمور لا تحدث الا استثناء .. فما الذي يحفظ لهذه الآلة الهائلة سلامتها ومن الذي زودها بكل تلك الكمالات .

ورأيت الجمال فى ورقة الشجر وفى ريشة الطاووس وجناح الفراش وسمعت الموسيقى فى صدح البلابل وسقسقة العصافير وحيثما وجهت عينى رأيت رسم رسام وتصميم مصمم وابداع يد مبدعة .

ورأيت الطبيعة بناء محكما متكاملا تستحيل فيها الصدفة والعشوائية .. بل كل شيء يكاد يصرخ .. دبرنى مدبر .. وخلقنى مبدع قدير .

وقرأت القرآن فكان له فى سمعى رنين وايقاع ليس فى مألوف اللغة وكان له فى عقلى انبهار .. فهو يأتى بالكلمة الاخيرة فى كل ما يتعرض له من أمور السياسة والاخلاق والتشريع والكون والحياة والنفس والمجتمع رغم تقادم العهد على نزوله أكثر من الف وثلاثمائة سنة .. وهو يوافق كل ما يستجد من علوم رغم انه أتى على يد رجل بدوى أمى لا يقرأ ولا يكتب فى أمة متخلفة بعيدة عن نور الحضارات .. وقرأت سيرة هذا الرجل وما صنع .. فقلت .. بل هو نبى .. ولا يمكن أن يكون الا نبى .. ولا يمكن لهذا الكون البديع الا أن يكون صنع الله القدير الذى وصفه القرآن .. ووصف افعاله .

قال صاحبى ــ بعد أن أصغى باهتمام الى كل ما قلت .. وراح يتلمس الثغرة الاخيرة :

ــ فماذا يكون الحال لو أخطأت حساباتك وانتهيت بعد عمر طويل الى موت وتراب ليس بعده شيء ؟

ــ لن أكون قد خسرت شيئا فقد عشت حياتى كأعرض واسعد وأحفل ما تكون الحياة .. ولكنكم أنتم سوف تخسرون كثيرا لو أصابت حساباتى وصدقت توقعاتى .. وانها لصادقة سوف تكون مفاجآتكم هائلة يا صاحبى .

ونظرت فى عمق عينيه وأنا أتكلم فرأيت لأول مرة بحيرة من الرعب تتداح فى كل عين ورأيت أجفانه تطرف وتختلج .

كانت لحظة عابرة من الرعب .. ما لبث أن استعاد بعدها

توازنه .. ولكنها كانت لحظة كافيــــة لأدرك أنه بكل غروره وعنــاده ومكابرته واقف على جرف من الشك والخواء والفراغ وممسك بلا شيء .

قال لي بنبرة حاول أن يشحنها باليقين :

ـــ سوف ترى أن التراب هو كل ما ينتظرك وينتظرنا .

ـــ هل انت متأكد ؟
وللمرة الثانية انداحت في عينيه تلك البحيرة من الرعب .

قال وهو يضغط على الحروف وكأنما يخشى أن تخونه نبراته
ـــ نعم ...
قلت :
ـــ كذبت .. فهذا أمر لا يمكن أن نتأكد منه أبدا .

وحينما كنت أعود وحدي تلك الليلة بعد حوارنا الطويل كنت أعلم أني قد نكأت في نفســـه جرحا .. وحفرت تحت فلسفته المتهاوية حفرة ســـوف تتسع على الايام ولن يستطيع منطقه المتهافت أن يردمها .

قلت في نفسي وأنا أدعو له .. لعل هذا الرعب ينجيه .. فمن سد على نفسه كل منافذ الحق بعناده لا يبقى له الا الرعب منفذا .

وكنت أعــلم أني لا أملك هدايته .. ألم يقل الله لنبيه ..
(انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء)

ولكني كنت أتمنى له الهداية وأدعو له بها فليس أسوأ من الكفر ذنبا ولا مصيرا .



الفهـــــرس

صدر للمؤلف

١ ــ **الله والانسان** ـ مجموعة مقالات كتبت فى صيف ١٩٥٥ .

٢ ــ **أكل عيش** ـ مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .

٣ ــ **عنبر ٧** ـ مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ .

٤ ــ **شلة الأنس** ـ مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ .

٥ ــ **رائحة الدم** ـ مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .

٦ ــ **ابليس** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨

٧ ــ **لغز الموت** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩

٨ ــ **لغز الحياة** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٦٧ .

٩ ــ **الأحلام** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٦١ .

١٠ ــ **اينشتين والنسبية** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٦١

١١ ــ **فى الحب والحياة** ـ مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ .

١٢ ــ **يوميات نص الليل** ـ مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ .

١٣ ــ **المستحيل** ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٠ .

١٤ ــ **الأفيون** ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٤ .

١٥ ــ **العنكبوت** ـ رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥ .

١٦ ــ **الخروج من التابوت** ـ رواية كتبت فى أواخر عام ١٩٦٥ .

١٧ ـــ **رجل تحت الصفر** ـ رواية كتبت فى عام ١٩٦٦ ٠
١٨ ـــ **الاسكندر الأكبر** ـ مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣
١٩ ـــ **الزلزال** ـ مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣ ٠
٢٠ ـــ **الانسان والظل** ـ مسرحية كتبت فى عام ١٩٦٤ ٠
٢١ ـــ **غوما** ـ مسرحية كتبت فى شتاء ١٩٦٨ ٠
٢٢ ـــ **الشيطان يسكن فى بيتنا** ـ مسرحية كتبت فى أبريل ١٩٧٣ ٠
٢٣ ـــ **الغابة** ـ رحلة الى أفريقيا الاستوائية. كتبت فى أكتوبر ١٩٦٣ ٠
٢٤ ـــ **مغامرة فى الصحراء** ـ رحلة الى الصحراء الكبرى فى صيف ١٩٦٩ ٠
٢٥ ـــ **المدينة (أو حكايات مسافر)** ـ مجموعة سفريات الى أوروبا بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٨ ٠
٢٦ ـــ **اعترفوا لى** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩ ٠
٢٧ ـــ **٥٥ مشكلة حب** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ ٠
٢٨ ـــ **اعترافات عشاق** ـ مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٦ ٠
٢٩ ـــ **القرآن محاولة لفهم عصرى** ـ دراسة كتبت فى شتاء ١٩٦٩ ٠
٣٠ ـــ **رحلتى من الشك الى الايمان** ـ دراسة كتبت فى عام ١٩٧٠ ٠
٣١ ـــ **الطريق الى الكعبة** ـ رحلة حج كتبت فى عام ١٩٧١
٣٢ ـــ **الله** ـ دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢ ٠
٣٣ ـــ **التوراة** ـ دراسة كتبت فى أواخر ١٩٧٢ ٠
٣٤ ـــ **الشيطان يحكم** ـ مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ ٠
٣٥ ـــ **رأيت الله** ـ دراسة كتبت فى صيف ١٩٧٣ ٠
٣٦ ـــ **الروح والجسد** ـ مجموعة مقالات كتبت فى شتاء ١٩٧٣ ٠

٣٧ ـ **حوار مع صديقي الملحد** ـ مجموعة مقالات كتبت في مـارس ١٩٧٤ .

مجمـوعات المؤلفـات الكامـلة :

٣٨ ـ **قصص مصـطفى محمـود** ـ صـدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٣٩ ـ **روايات مصـطفى محمـود** ـ صدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٤٠ ـ **مسرحيات مصطفى محمود** ـ صدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

٤١ ـ **رحلات مصـطفى محمـود** ـ صـدرت عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت روايته « رجل تحت الصفر على جائزة الدولة عام ١٩٧٠

حوار مع صديقي الملحـــد

مصطفى محمود

الثمن ٥٠ قرشـــا

طبع بمطابع روز اليوسف



الثمن .

طبع بمطابع